

أ. عبد الجليل خالـه

# الموسيقا العربية والافريقية

منشورات

مجلس تنمية الابداع الثقافي – الجماهيرية



203

4537

هدية لى

www.sama3y.net

مقتدى

للطب الاجيل

آبوعام

3/1/2011

www.sama3y.net

الموسيقا العربية والأفريقية

وأثرهما في موسيقا العالم

# الموسيقى العربية والأفريقية

وأثرهما في موسيقا العالم

تأليف

أ. عبد الجليل خالد

الموسيقا  
العربية  
والأفريقية  
وآثرهما في  
موسيقا العالم

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية (5639)  
للتقييم الدولي ( ردمك 9 - 045 - 38 - 9959 - ISBN )  
الطبعة الأولى 2003  
حقوق النشر والاقتباس محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# كلمة الناشر

## كلمة الناشر

" لكل أمة شخصية خاصة

تتكون عبر التاريخ

تتجلى في ثقافتها:

آداباً، وفنوناً، وعلوماً

وأخلاقاً، وشرائع، وعمراناً،

وتقاليد، ونظماً سياسية،

واجتماعية، واقتصادية، وإدارية

والفنون عنوان حضارة الشعوب،

ودليلاً على إسهام الأمم في نمو الحضارات وتطورها "



[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)



موسيقى الجاز الأفريقية ...



## مُتَلَمِّتَة

إن تطور الفن من رسم ثابت على كهوف العصر الحجري، إلى الصور المتحركة على الشاشات المرئية والخيالة، وأشرطة العرض "الفيديو".  
ومن الدراما اليونانية ذات المسرح المستدير، إلى الدراما الإذاعية المسموعة والمرئية .  
من أنغام القصبة المثقوبة، والطبول والنقر، إلى التأليف السيمفوني...

كل هذه ليست مجرد تطور فحسب للرؤية العاطفية والانفعالية للإنسان فوق هذه الأرض، ولكنه ثمرة لتطور المجتمع وتطور الصناعة والعلم فيه لأن الفن ينمو ويتراجع بسبب طبيعة الأوضاع الاجتماعية.

قالفن هو تعبير عن حالة وجدانية، ومظهر حضاري، يشهد على التطور الاجتماعي للحالة الوجدانية للجماعة<sup>(1)</sup>.  
فالفن تعبير عن مراحل الوضع الاجتماعي القائم وما به من حركة فكرية ونشاطات اجتماعية أخرى (صناعية - زراعية - علمية - الخ...).

---

1 المعجم الجغرافيري (مصطلحات النظرية العالمية الثالثة)، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجغرافية العظمى، الطبعة الثانية، 1995 من 249.

وتدل الفنون بصفة عامة على مدى ما بلغه المجتمع من رقي وتقدم وعلى ما يتضمنه من عناصر الذوق العام<sup>(2)</sup>. والفن بالضرورة أن يحتضن كل التراث السابق عليه من أشكال وأدوات، ولذلك فإن الفن يعتبر تعبيراً ذاتياً وموضوعياً في ذات الوقت:

ذاتياً: باستعانتة بالأدوات والأشكال والوسائل الاجتماعية. موضوعياً: بما يتخذه من موقف اجتماعي في اللحظة التاريخية المعينة وهذا يحدد دلالاته الموضوعية. وبمعنى آخر إن الفن تعبير ذاتي لأنه خلاصة للجهد المبدع الخلاق الذي يبذله الفنان بمشاعره وأحاسيسه وأفكاره وقدرته على الابتكار وهذا نتاج عبقريته الذاتية. وهو موضوعي أيضاً من خلال أدواته وخبراته وملابساته حياته، بصفة الفنان كفرد في المجتمع. إذن فالمجتمع الذي يعرف قيمة الفنون، ويرعى الفنانين ويوفر الظروف الملائمة لعملهم، هو مجتمع واع ومتفاعل وقابل للتطور، فالتقدم لا يكون بالإنتاج المادي فقط، بل بما يصاحبه من إبداعات جماهيرية تعكس التراث الأصيل للمجتمع. "فالفنون عنوان حضارة الشعوب، فكلما ازداد عدد المنتجين للفنون، وتوسعت قاعدة المشاركة الفنية كان ذلك دليلاً على انتشار الحضارة، وعلى مدى الإسهام في صنعها"<sup>(3)</sup>.

---

2 المعجم الجماهيري، المرجع السابق، ص 249.

3 المعجم الجماهيري، مرجع سابق، ص 252.

إن فالمجتمع دائما هو الذي تنتج عنه الإبداعات من خلال فرد فيه هو المبدع الفنان الذي إذا ما توفر له المناخ الملائم أبدع وخلق وابتكر.

والمجتمع العربي الأفريقي والآسيوي، والمجتمع الأفريقي في القارة السمراء بجنوبه وشماله، هو الذي قاد حركة الفنون والآداب في العالم.

وفي وقت كانت فيه أوروبا تعيش في ظلام دامس كان الفن الأدبي في أوج ازدهارهما في المشرق والمغرب العربي، وفي وقت لم يتم فيه اكتشاف أمريكا بعد كانت الإبداعات الأفريقية والأنغام الأفريقية تملأ الدنيا، وما دخلت موسيقى الجاز إلى أمريكا والدول اللاتينية إلا عن طريق الأفارقة.

وما عرف العالم الشعر إلا عن طريق العرب ومعلقاتهم وما من أحد يستطيع أن ينكر أن الشعر بقصائده وموشحاته وعالوفه هو عربي النشأة.

والمدارس العربية في إسبانيا وقرطبة وغرناطة خير شاهد تاريخي على أن الفنون الأوروبية والأمريكية هي نتاج اجتياح العرب وعقريتهم والأفارقة ونراثهم.

وفي الفصول التالية نتناول هذا الموضوع:-

الفصل الأول: أثر الموسيقى العربية على موسيقى العالم.

الفصل الثاني: أثر الموسيقى الأفريقية على موسيقى العالم.

الفصل الثالث: فضل العرب والأفارقة على العالم.



آلة القانون... أوحى بإبتكار آلة البيانو...

## الفصل الأول

أثر الموسيقى العربية على موسيقى العالم

---

# مَهْيَدٌ

عن الموسيقى والغنائي العربي، من أغنى فنون العالم بالقرات،  
ذلك لأن العرب احتضنوا حضارات الأمم المجاورة والبعيدة في  
الشرق عموماً، وهذا ما أعطى لهذه الفنون القدرة على الانتشار  
والثأير، بما لدى العرب من طاقات فكرية وثقافية، وقدرات علمية  
فائقة من النادر أن توجد لدى الشعوب الأخرى، مما ترك للعالم  
أرواحاً عظيمة من كنوز العلم والمعرفة.

ولكي نصل إلى إثبات أثر الموسيقى العربية على موسيقى  
العالم، فلابد لنا بالمرور بالمراحل التي أوصلتنا إلى هذه القدرة.  
ونبحث هذا في المباحث التالية:

المبحث الأول: الموسيقى العربية قبل الإسلام.

المبحث الثاني: الموسيقى العربية بعد ظهور الإسلام.

المبحث الثالث: الموسيقى الأفريقية في الأندلس.

# المبحث الأول

## الموسيقى العربية قبل فجر الإسلام

من الجزيرة العربية في اتجاه الشمال كانت قوافل العرب تسافر التجارة، وما يسهل مسافات الصحراء الطويلة على جمالهم وعليهم إلا التسلية بالغناء الذي كان يسمى "حذاء الإبل".

وكان العرب يستمعون إلى أغاني الأراميين والآشوريين والكتافيين، وباتجاه الجنوب كان العرب يستمعون ويعجبون بموسيقى الأحباش.

ولذلك كان لتلقى موسيقى الشعوب العربية القديمة بموسيقى وأغاني الشعوب المجاورة للجزيرة العربية أثر كبير في وفرة الأنغام والمقامات والإيقاعات وتطوير الغناء والموسيقى، إلى جانب التأثير بالحضارات البابلية والفرعونية والفينيقية وحضارة سبأ.

ومن هذا التأثير والاستماع والاختلاط تشكلت عند العرب ألوان مختلفة من الإيقاعات والألحان ونظم الكلمات وكذلك الآلات الموسيقية.

فظهرت ألوان عديدة من الغناء بصور إيقاعية ولحنية جديدة، فإلى جانب "الحذاء" ظهر "السنداق"<sup>(١)</sup>، وكذلك غناء الزكوان،

١ هو لون شعبي كثير للشعاب والقبائل وهو على ست طرق من الألوان.



والنغبير (أي التهليل) وتردد الصوت بالقراءة، والنشيد الذي يردد في الحروب والغزوات والحنان المأتم والحنان الغزل والقرانيل الدينية<sup>(5)</sup>.

وكما سبق للعرب أن تأثروا في هجراتهم المختلفة فقد ازداد تأثرهم بعد تعرضهم لغزوات متعاقبة، وكان لتحضّر بعض المناطق وقيام العمران فيها أكبر دافع للغزاة لكي يخضعوا لحكمهم، ومن هذه الممالك، اليمن، وممالك الشمال (الأنباط، كمر، الخيرة) والحجاز<sup>(6)</sup>.

أ. اليمن: كان الفرس والروم يتسابقان على احتلالها لما فيها من الخيرات وأيضاً لموقعها الإستراتيجي المهم، وبالفعل خضعت للشاميين، وبعد ذلك انتصر الفرس على الأحباش وخضعت للفرس، وبذلك امتزجت العلوم والفنون في أرض اليمن بتمزج الحضارات المختلفة، وظهر هذا أيضاً على فنون هندسة العمارة.

ب. ممالك الشمال: في هذه الممالك نجد ألوان مختلفة أيضاً من الشعر والفناء،

1 - الأنباط: لازلنا لحد الآن نستمع إلى القصائد النبطية الغنائية، وأصلها من شرق الأردن، وهو غناء شعبي مميز بإيقاعه وأسلوبه العربي الأصيل.

5 نسب الاختيار (في الفن عند العرب)، دار بيروت للطباعة والنشر، 1955 من

6 د. أحمد الشاذلي، (التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية)، ج 1، العرب قبل الإسلام.



لازال تلالن يوجد معبد الشمس في تدمر، وهو شاهد  
ازدهار الفنون، وشهدت منطقة تدمر صراعات مع  
الفرس والرومان، ولم يغفها موقفها على الحيات من  
تعريضها لغزو الرومان، وانتصرت فيها "الزباء"  
باختيارها الموت على الهزيمة، كموقف وطني  
احتجاجي على تعرض بلادها للغزو رغم موقفها  
الحيادي.

وتاريخ تدمر الفني فيه استزاج رائع بين مدينة تدمر  
والمدنات الأخرى، اليونانية والآشورية والفارسية،  
ووصلت بذلك تدمر إلى قمة الثقافة والعلوم والفنون  
في عصر ازدهارها الحضاري الغابر<sup>(7)</sup>.

وكانت تدمر مركزا تجاريا هاما للذهب  
والصمغ والبضائع الأخرى الواردة إليها من  
ارض العرب، وكذلك للؤلؤ الذي يأتيها من  
البحرين، والمنسوجات التي تأتيها من الهند،  
وكذلك الفولاذ والحاج<sup>(8)</sup>.

3- الحيرة وعسنان: كان ملوك الحيرة وعسنان الذين يرجعون إلى  
سلالات يمنية، وذلك كانت عمارة القصور الرائعة  
تشبه القصور والعمارة اليمنية ومنها قصرا  
(الخورنق والسدير)، وأهم دور لعبته هاتان

7 أ. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد (6)، ص 251.

8 أ. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد (6)، ص 255.

المملكتان هو انهما كانا جسراً عبرت عليه ألوان  
من حضارة الفرس والروم إلى الجزيرة العربية،  
وامم هذه الألوان الحضارية هي: الأدب، أنواع  
المعارف المختلفة، والقراءة والكتابة والفنون  
للحرية، والثقافة الفنية المتنوعة.

### ج. الحجاز:

نم يستطع الخنوذ الأجنبي أن يتوغل في أرض  
الجزيرة العربية، وظل الحجاز مستقلاً في وقت تم  
احتلال جميع الممالك العربية الأخرى من الفرس  
والروم والأحباش.

وفي عام القيل تمت محاولة من الأحباش، لهدم  
الكعبة المشرفة، واستجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء  
عبد مكة جد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه  
بإيقاد الكعبة، فلا قوة لديهم لصد العدوان فأرسل  
عليهم طيراً ابابيل، ترميهم بحجارة من سجيل،  
فجعلهم كعصف مأكول.<sup>(٩)</sup>

وما بلغت الانتباه هو الدعاء الذي كان ينشده عبد المطلب  
وهو بطريق بالبيت مشفداً والناس يرددون معه:-

9. كما ورد في سورة الليل.

يا رب لا أرجو لهم سواك  
يا رب فامنع منهم حماك  
إن عدو البيت من عاداك  
امنعهم أن يخرّبوا قراك<sup>(10)</sup>

فهذا الإنشاد الجماعي يدل على أن الشعر الغنائي المنمغ كان موجوداً في الحجاز ومعروفا منذ القدم، ولعل ذلك كان مأخوذاً عن التراث الديني للأديان الأخرى قبل ظهور الإسلام. وهذا ينفي الادعاء بأن غناء "الحدا" والسناد" فقط هي التي كانت موجودة أو معروفة لدى عرب البادية.

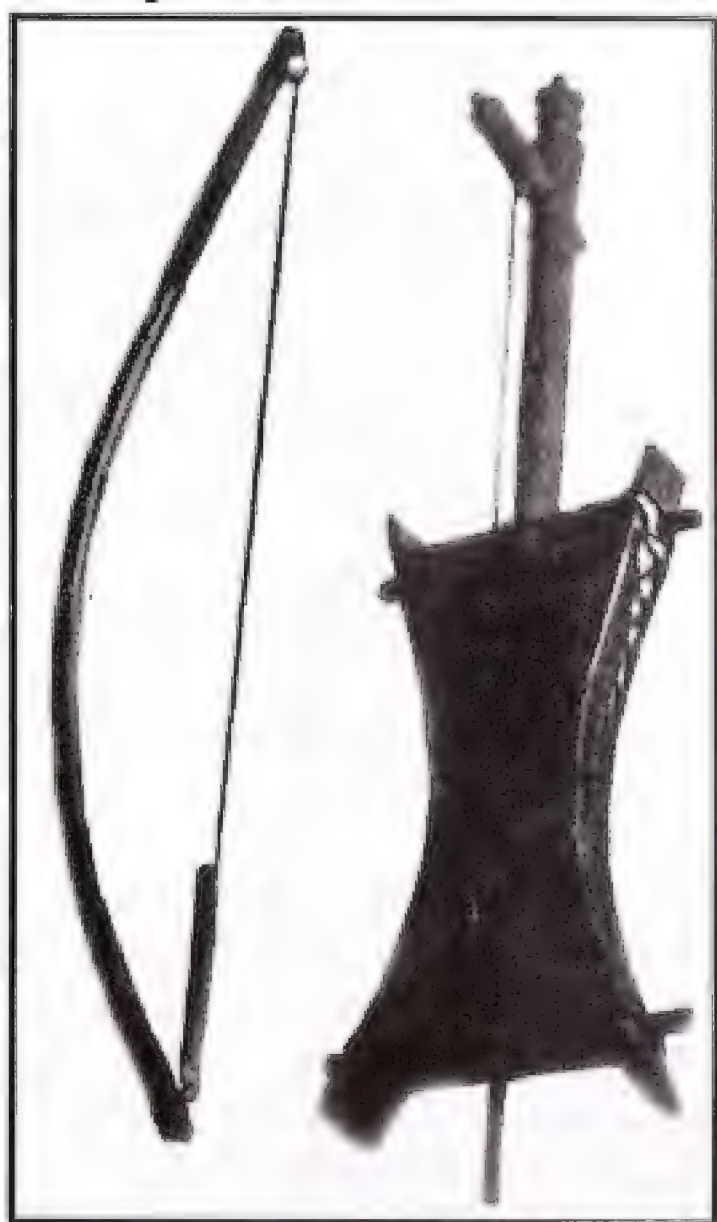
ومما تقدم: نرى أن الموسيقى والغناء العربي قبل الإسلام لم تكن فنون شعب منعزل على نفسه، بل أنه تأثر بالعصر الذي ظهرت فيه... وكانت الفنون والثقافة العربية في مستوى لا يقل عن مستوى الموسيقى الآشورية والفينيقية والآرامية...<sup>(11)</sup>

وفي العصر الجاهلي كان الموسيقى شاعراً، والشاعر مغنياً، وكان الشاعر إذا لمس في نفسه ضعفاً في مستوى صوته لجأ إلى مخني ليرده عنه أشعاره، وكانت الآلات الموسيقية المنتشرة هي العود، والمزمار، والتغوف، الطبول، وغيرها.

10 دائرة معارف القرن العشرين، مرجع سابق، ج 1، ص 20.

11 د. أحمد الشبلي، (التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية)، ج 1، العرب قبل الإسلام.





الريابة العربية... أم الآلات

## المبحث الثاني

### الموسيقى العربية بعد ظهور الإسلام

كان العرب في الجاهلية يتكونون من شعبين وهما:  
شعب عدنان: وهم عرب الشمال يقطنون في صحراء نجد  
والحجاز.  
شعب قحطان: وهم عرب الجنوب موطنهم اليمن وحضرموت  
ومنهم تفرع عرب العراق وبلدان الشام.  
وبعد ظهور الإسلام اختلطوا وصارت كلمة عربي، تشمل كل  
من يسكن المنطقة بكاملها.  
وبعد ذلك بدأت الفتوحات الإسلامية شرقا حتى وصل العرب  
إلى الهند وحدود الصين وبلاد آسيا الوسطى.  
وغربا وصلوا إلى مصر وشمال أفريقيا، كما وصلوا إلى جنوب  
أوروبا حتى الأندلس. وانتشر الدين الإسلامي، والحضارة العربية،  
وأسسوا الدول الباقية المعالم حتى هذا الزمن. وللحضارة العربية  
الفضل الكبير على ظهور الحضارة الأوربية منذ القرن التاسع.  
في القرون الوسطى كان الفكر العربي يتغلغل في الغرب عن  
طريق التزاجم، فقد تمت ترجمة أمهات الكتب العربية إلى اللاتينية،  
واللغات الأوربية، ومن هنا بدأ عصر النهضة في أوروبا.  
وصف الجاحظ عرب الجزيرة: بأنهم كانوا عطيوعين على حب  
الفروسية، والشجاعة، وأنهم شعراء بالسليقة، يتذوقون الفن بإحساس  
عصيف، ويحفظون القصائد والمعلقات عن ظهر قلب، وكان نظم  
الشعر ميدانا للتسابق بين فحول الشعراء العرب.

تلك في عام 630م قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية  
 هاتم مصر (المقوقس) وهو الفارسي الأصل أهدى الرسول جارينتين  
 من ألباط مصر، وهن السيدة مريم زوجة الرسول صلى الله عليه  
 وسلم وانجب منها إبراهيم، وشقيقتها سيرين التي أهداها عليه الصلاة  
 والسلام إلى الشاعر حسان بن ثابت، وكانت سيرين تتمتع بصوت  
 حلي جميل وتعزف على آلة العود، وعن طريقها دخل الغناء  
 المصري والعود المصري ذو الرقبة الطويلة إلى الجزيرة العربية،  
 وتعلمت على يد سيرين المغنية (عزة الميلاء) التي علمت كل من  
 كان بعدها من المغنيات<sup>(12)</sup>.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بدأت عصور الحضارة  
 الإسلامية وهي:

أ- الخلفاء الراشدين.

ب- الدولة الأموية.

ج- الدولة العباسية

د- دولة الأمويين في الأندلس.

12: كانت عزة الميلاء شهيرة واسعة وذلك لأنها مزجت بين الغناء العربي والفارسي واستغلت في  
 ذلك من سيرين والمغني تشبث الفارسي ومزجت هذه الألوان جميعاً.

## أ. الخلفاء الراشدين:

- أبو بكر الصديق رضي الله عنه: 632 - 634م. واستقر الوضع في عهده على ما كان عليه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم.

- عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تشدد في أمر السماع في البداية 634 - 644م. ولكن مشاغل الخلافة لم تمكنه من وضع تشريعات خاصة بالغناء والموسيقى.

- عثمان بن عفان رضي الله عنه: 644 - 656م. انتصر المسلمون في عهده على الفرس، فانتعشت الفنون، وأصبح لمحترفيها منزلة كبيرة عند الشعب والدولة.

- علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: 656 - 661م. وقد أبدى رعاية للأدب والفنون، وسمح بتدريس الغناء، وظهر في عهده نوع جديد من الغناء يسمى (المتقن) لأنه كان اعظم في الإتقان اللحني من السابق عليه.

ونتيجة للرفاهية والاستقرار الذي عم الدولة الإسلامية، وانتصارها على الممالك التي دانت للإسلام، أخذ المسلمون ينظرون إلى أمور دنياهم بمنظار أكثر تساهلاً وتسامحاً عن ذي قبل، وظهر الاحترام لأهل الفن ومحترفيه من العامة ومن الأعيان والأمراء وأصبح للأديب والشاعر والموسيقي مكانة مرموقة في المجتمع العربي.



انتقلت الخلافة إلى دمشق، واتسعت الفتوحات فشملت الشرق كله، وامتدت إلى أوروبا، التي كانت لا تزال قابضة في عهود الظلام، وبفضل الإسلام والعرب نهضت حتى وصلت إلى عصور النهضة. وبالنسبة للغناء انتشر الغناء المتقن الذي جاء به (سائب خاثر)، والذي كان يلقى التشجيع من أمير المؤمنين (معاوية)، وأسس سائب مدرسة ظهر منها: عزة الحلاء - جميلة - ابن سريج - معبد. وفي مكة ظهر لون مميز في الغناء والتلحين من المغني (سعيد بن مسجع) حيث كان له مذهبه الخاص الذي رفض به كل أساليب الفرس والروم.

وتم في هذا العصر تسوية أوتار العود، على الطريقة الفارسية الموجودة لآن وهي وجود الأوتار الغليظة من أعلى والحادة من أسفل، وكان (بن مسجع) أول من طبقها واخذ بها. ووضع في هذا العصر أيضا (يونس الكاتب) أول المؤلفات في النظريات الموسيقية، وسيرة أهل الفن وصدرت الكتب: كتاب النغم - كتاب القيان<sup>(13)</sup>.

وكانت أهم مصادر الموسيقى العربية في هذه الفترة هي الموسيقى الفارسية، واليونانية، ويظهر أثر الموسيقى الفارسية في الموسيقى العربية في التسميات الفارسية المستعملة في هذا الفن، ويجب أن نفهم أنه ليس معنى ذلك إن أصل الموسيقى العربية فارسي أو يوناني، بل كان العرب هم السباقون لوضع النظريات الموسيقية، ثم جاءت النظريات الموسيقية الفارسية واليونانية

13 يونس الكاتب: عال في الملهة، وكان موسيقيا بارعا. أخذ الغناء عن ابن سريج ومعبد وابن سحرز والغزيش. وكانت كتابته نواذ لما جاء بعده من مؤلفات.

وامتزجت بها، فبقيت الموسيقى العربية محتفظة بسماتها الخاصة،  
والدليل على ذلك هو رفض الملحنين العرب للطرق الفارسية  
والرومانية التي وجدها غريبة عن الموسيقى العربية.

ورد في كتاب (إخوان الصفا)<sup>(14)</sup>:

... أما الشعوب الأخرى كالفرس والروم فألحانهم وأغانيهم  
تختلف عن تلك التي وضعها العرب ...

وورد في (العقد الفريد) لابن عبد ربه:

... كان لإسحاق الموصلي الذي عاش في القرن الهجري الثاني  
المقدرة على التعرف على اللحن اليوناني الأصل عند سماعه ...

وهذا يدل على أن هناك اختلاف بين الألفان اليونانية والعربية،  
ويقول الفيلسوف اسحق بن يعقوب الكندي في القرن الثاني الهجري:  
... إن دراسة الموسيقى إنما هي دراسة الفنون عند عدة بلدان  
مجاورة ...

وينبغي أن نشير إلى أن الحضارات القديمة قد أخذت عن  
بعضها احسن منجزاتها العامة والفنية، وهذه حقيقة يمكن الاستناد  
إليها للقول بأن موسيقى الحضارات المصرية والآشورية والفارسية  
والبابلية واليونانية والعربية، تشترك في ألاتها ونظرياتها، وهذا  
يجعل لها طابع قريب التشابه إلى حد ما، فالموسيقى في ذلك العصر  
كانت لغة واحدة مشتركة، مع تغير لهجاتها في كل هذه الحضارات،  
فتتميز الواحدة عن الأخرى وتبرز شخصية كل منها دون أن تترك  
مجالاً للخلط بينها.

---

14 تم وضع هذا الكتاب في القرن الرابع الهجري.

وكانت اليونان تتميز بتدوين وتنسيق علومها وفنونها وتدوين علوم وفنون الحضارات الأخرى أيضا، ولذلك فالمخطوطات اليونانية القديمة هي التي حفظت لنا النظريات من الضياع والافتقار.

بالنسبة للبلاد العربية كان موقف الخلفاء الأمويين (السبعة) هو تشجيع الفنون والآداب ورعاية المبدعين، ولقاموا المسابقات الأدبية والعلمية وخصصوا لها الأموال اللازمة، وكان عدد من الخلفاء الأمويين يعزف على آلة العود.

وكانت السيدة سكينة بنت الحسين، تشجع المغنين الذين ينشدون مراثي أهل البيت وأشهرهم (الغريض) وكانت تسمح للناس بحضور هذه الجلسات الغنائية الدينية.

#### ج. الدولة العباسية: 750 - 847م.

وهذا هو العصر الذهبي الذي انتقلت فيه الخلافة من دمشق إلى بغداد، التي كانت من أجمل وأكبر مدن العالم في العصور الوسطى. وتطورت في هذا العصر كلمة (عربي) فلم تعد تعني الجنسية العربية، بل شملت كل من كان يتكلم اللغة العربية، ومقيم في أرض الدولة العربية، من أي جنسية كانت.

دامت الخلافة قرنا كاملا، تعاقب فيه على الحكم (تسعة خلفاء) كان عصرهم أرقى العهود اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وفنيا، ووقفت الحضارة العربية خطوات هائلة وأصبح العرب على شغف شديد بمعرفة العلوم والفنون والآداب، وأوصلوا اللغة العربية إلى أن أصبحت هي لغة العلم والثقافة والفن.

وحيث أن الفنون عامة من دلائل القرف في الحياة، فهي لا تستطيع الازدهار إلا حيث يسود الاستقرار والرخاء ويرتقى الفكر ويتم صقل الحضارة.

والموسيقى موادها الأولية إحساس ومشاعر، ولذاتها الأوتار والحناجر، وسلعتها نغم وإيقاع، وهو صناعة، ومشجعها لا يوجدون إلا في مجتمع متحضر ثقافيا، مزدهر اقتصاديا، يتذوق الفنون، ويحس بالجمال والمحبة للخير والحق والجمال.

في الدولة العباسية (العصر الذهبي) ازداد عدد المقامات والأوزان، وتنوعت الآلات الموسيقية، حتى كان العود قد وصل إلى ثمانية أنواع وهي:

المزهر - الزكران - البريبط - المونر - الممضى - الشبوطي -

المدرسي والكامل.

وشاع امتنعالا ودراسة العزف عليها من عامة الناس لأن الفن والغناء صارت له مكانة جديرة بالاحترام.

في هذا الوقت كانت أوروبا لازالت في عصر الظلمات إذ كانت قوانين بعض بلادها لا تعطي للموسيقيين حق التوريث ومن يقتل موسيقيا لا يلزمه القانون بدفع الدية !!

وفي باريس حتى عام 1292م، لم يدرج الموسيقيون في قائمة دافعي الضرائب، ولم يسمح لهم بالإقامة في غير حي المهرجين واستمر هذا الوضع حتى القرن الثامن عشر !!!.

ومن مأسى هذا العصر أن موسيقارا عظيمما مثل (موتسارت) لا يعرف أين دفن حتى الآن لأن الفنان في ذلك الوقت يعامل معاملة الخدم في قصور النبلاء، إذا مات دفن في مقابر المجهولين!!!.

في هذا الوقت كانت المدينة العربية في قمة ازدهارها، والكتب العربية عن العلوم والأدب والثقافة والفنون العربية<sup>(15)</sup> ملأت وانتشرت في بلاد فارس والهند في آسيا الوسطى، وظهر في كل البلاد التي دخلتها الحضارة العربية العشرات من العلماء والفلاسفة، الفنانين والفلكيين وعلماء الرياضيات والكيميائيين، ورجال الصناعة والتجارة.

وكل هذا جعل من الحضارة العربية منارا ينشر أشعته في أوروبا فيحيل ظلماتها إلى تقدم وازدهار.

ومن أعلام وفلاسفة العرب الذين تناولوا في مؤلفاتهم العلوم الموسيقية، وثبتوا أسسها، ووضعوا نظرياتها قبل أن يعرف الغرب شيئا عن ذلك بمئات السنين، نذكر منهم:

#### 1. الفيلسوف العالم اسحق بن يعقوب الكندي:

درس في صباه القرآن الكريم، وفقه الدين، وعلوم المنطق، ودرس العلوم العقلية، وتبحر في علوم اللغة والأدب والفلسفة، ترجم العلوم اليونانية والعبرانية والهندية في دار الحكمة ببغداد.

كان الكندي رائد مدرسة شراح الإغريقية وأستاذها الأول بلا منازع.

له عاشر وأربعون كتابا ورسالة (في 17 علما) ومنها عدد يحتص بالفنون الموسيقية.

وفي مؤلفاته عن الموسيقى قسم الديوان الكامل إلى اثني عشر درجة تفصل كل منها عن الأخرى بمسافة ونصف (1 1/2 تون).

---

15 جاء في فهرس ابن النديم ذكر الكتاب: كتاب النغم وكتاب الإيقاع. من تأليف الخليل بن أحمد أول من كتب بعد يونس الكاتب... ولأسف أن هذين الكتابين لا يوجدان في أي مكتبة عربية ويقال أن فصلهما موجود باليونان فقط.

وتوصل الغرب بعد عصر الكندي بعدة قرون إلى السلم المعدل وهو لا يختلف كثيراً عن السلم المعدل الذي أتى به الكندي في الأصل.

نظريات الكندي عرفها العرب قديماً وانتقلت معهم إلى الأندلس ثم انتشرت في أوروبا بعد ذلك، ومنها نظام التدوين ونسب مواقع عفق النغم بالأصابع بالأشكال البيانية عن الأوتار.

والكندي تعدى بالموسيقى مجال السمع، فهو يخرج من الألحان إلى الألوان، ويشرح طبيعة كل لون، وتأثيره على النفس، وينظر بينها وبين المقامات.

فالألوان في نظره كالألحان تعبر عن المشاعر النفسية والقوى الحيوية التي توحى بها.

والعطور اسمها الموسيقى الصامتة لأنها تنبئ الحواس كالألحان والألوان.

وللكندي كتاب ممنوع جداً في فلسفة الفنون الموسيقية، وله دراسات في العلاقة بين الأبراج السماوية وتركيب أجزاء العود، ودراسات في أوتار الآلات الموسيقية وطبائع الكون، وربط أنغام الموسيقى ومقاماتها بالكواكب وأيام الأسبوع.

## 2. محمد أبو نصر الفارابي 870 - 950م (16):

هو مؤلف كتاب (الموسيقى الكبير) الذي عرض فيه الكثير من المقارنات بين الأبعاد الفيناغورية والعربية وأعطى نماذج سخائرة في المؤلف والمتألف.

---

16. سى بالفارابي نسبة إلى مسقط رأسه (فاراب) من بلاد القزوين ما وراء النهر.

وقد كتب ابن سينا نعدد الأصوات دون التأثير بأي أحد وكان ذلك في بداية القرن العاشر وبعده بعشرات السنين اتخذت الموسيقى في الغرب طريقها نحو نعدد الأصوات بينما ظل الشرق محافظاً على الطابع القديم فانفصلت كل منهما عن الأخرى، بعد أن كانت الموسيقى العربية والأوربية تسيران سيرا متساوياً ما قبل هذا العهد.

ومن الباحث لذلك ما شتمه الكنيسة في الترافيل من اختلاف في الأصوات ثم الأداء الجماعي، وهذا ما أوحى للموسيقى الإيطالي (هوكبال) ليكتب في مؤلفاته النظرية عن نعدد الأصوات وإمكان امتزاج نغمة الأساس بالرابعة أو الخامسة أو الثامنة، ولذلك لقب هذا الموسيقى الإيطالي (أبو الهارموني)<sup>(17)</sup>.

وخصص ابن سينا فصلاً خاصاً عن الإيقاع شرح فيه أنواعه المختلفة، ووصل إلى أنه في مقنن الموسيقى أن تستخدم من الإيقاع ما لا حصر له. ثم مزج بين الموسيقى والشعر من حيث الإيقاع وتناول الحديث عن التفاعيل والأوزان ووصل إلى أنه هناك ثمانية أنواع رئيسية تنفرع منها شعب وأقسام، وهي:

الهزج - خفيف الهزج - الثقيل الأول - خفيف الثقيل الأول - الرمل - خفيف الرمل - الثقيل الثاني - الماخوري.

كما خصص فصلاً للآلات الموسيقية بأنواعها الثلاثة:

آلات النفخ - الوترية - الإيقاعية

وجعل لكل منها أقساماً وفروعاً، وخصص للعود بحثاً مطولاً فهو في نظره الآلة المثالية الأكثر استعمالاً<sup>(18)</sup>، وهو أول من افترض

---

17 الهارموني: هو علم توافق الأصوات، أي الاستماع إلى أكثر من صوت في آن واحد تكون

مقبولة للآذن، وهو ما يسمى في هذا العصر بالتوزيع الموسيقي.

18 تمت هذه البحوث في موسوعي الشفاء والشفاء .. لابن سينا.

منظريا إضافة الوزن الخامس حتى يكتمل أداء العود بالدواوين السلطوية<sup>[19]</sup>.

وكان ابن سينا من كبار علماء الإسلام وفلاسفتهم، وكان لإنتاجه الفكري الأثر الكبير في الشرق والغرب، ولقبه علماء الغرب بـ"أرسطو"، وأطلق عليه العرب معلم الإنسانية الثالث، عاش 58 عاما ألف خلالها 376 كتابا ورسالة. وكان متميزا بالدقة والابتكار في كل مؤلفاته، ووصلت بعض مؤلفاته مثل، الشفاء والنجاة إلى موسوعات بل ودائرة معارف.

ومن إعلام العصر العباسي أيضا:

#### 4. صفى الدين عبد المؤمن الازموي:

عرف كعالم موسيقى، وكان شاعرا، وخطاطا بارعا، له كتب لازالت موجودة لأن منها:<sup>[20]</sup>

1- كتاب الأدوار: ويتكون من 15 فصلا، عن النغم والأبعاد والتأليف والأدوار وألف العود، والطبقات، والاصطحاب، والإيقاع، وتأثير الأنغام، والعزف.

2- كتاب الشرفية في النصب التأليفية: يتكون من خمسة فصول عن قواعد الصوت، والأبعاد، والأجناس، والأدوار، والإيقاعات.

ومن أشهر الإعلام في العصر العباسي في الموسيقى والغناء:

- إبراهيم الموصلي 743 - 804 م.

- إسحاق الموصلي 767 - 850 م.

19 وسبقه في هذا الكندي، واقرضه الغرابي.

20 الكتب موجودة بمسجد المخطوطات العربية - شارع جامعة الدول العربية، القاهرة.



- إبراهيم بن المهدي 779 - 853 م.  
 - أبو الفرج الأصفهاني 807 - 967 م. وهو الذي وضع  
 كتاب (الأغاني للأصفهاني) المعروف.  
 وأما عن إعلام الغناء في العصر العباسي فهم كثير، منهم:  
 يحيى المكي - ابن جامع - منصور زلزل  
 ومن المقنيات:

بذل - شادية - مقيم الهاشمية  
 وغيرهم الكثير ممن أثروا حركة الفنون الموسيقية والغنائية،  
 بألوان عدة من الألحان وأساليب الأداء المختلفة، بالخبرة التي  
 اكتسبوها من خلال امتزاج الحضارات التي اندمجت بها الحضارات  
 العربية.

#### د. دولة الأمويين في الأندلس:

في دنيا الفنون عندما تذكر الأندلس، فإن الحديث يكون عن  
 الزرياب<sup>(21)</sup> أو الزرياب<sup>(22)</sup> أو ما عرف بلقب زرياب (أبي الحسن  
 علي بن نافع).  
 وقصة هجرته إلى الأندلس معروفة للجميع، والتي جاءت  
 لمحاولة زرياب الغير مقبولة وللا لائقة بإنتهازه الفرصة أمام  
 الخليفة، لاغتصاب عرش الغناء من أستاذه الذي قدمه للخليفة من  
 باب الاعتزاز بأحد تلاميذه، فإذا به يتقلب عليه وهو ما زال في أول  
 مشواره الفني!!.

21 الزرياب: فتح الزاي تعني الطائر الغريد الجميل الصوت الحسن الصورة الأسود اللون.

22 الزرياب: بكسر الزاي تعني الذهب أو ماء الذهب، (المعجم اللغوية).

وتكن النتائج التي ترقبت على هذه المحاولة، كانت نقطة تحول  
إاريخية في الاتجاه الموسيقي والغنائي، فلقد هاجر زرياب من  
المشرق العربي إلى المغرب الأقصى، فكان فنانا ومعلما ومهذبا، جاء  
إلى العالم الغربي فعلمهم الفنون والآداب والأعراف والتقاليد،  
والتعامل وفن الموسيقى، وفن الحديث، وفن الاستماع، وكل ما له  
علاقة باللياقة والذوق والتذوق.

وصل زرياب إلى الأندلس، وبعد محاولات تم استقباله من  
الحاكم الذي أكرمه ورحب به، وكان سعيدا بمقدمه.  
وبدا زرياب نشاطه في الأندلس، بنشر الموسيقى الشرقية،  
والعادات الاجتماعية العربية، حتى عمت كل بلاد الأندلس، بل  
وانتشرت إلى العالم الأوربي كله.

... وقد كان لزرياب تأثير كبير في نقل كثير من العادات  
الشرقية السائدة في بلاط بني العباس إلى بلاد الأندلس، وقد أخذت  
تلك العادات الحضارية تنتشر في كثير من النائق والذوق الناعم،  
وتبدو على الأخص في الأكل، وفي قوانين المآدب والحفلات، وقد  
كان لقوم زرياب تأثير كبير في الحياة الاجتماعية والأدبية  
والفنية...» (23).

وأسس زرياب أول معهد لتدريس فنون الموسيقى، واستدعى من  
المدينة المنورة مجموعة من الأصوات الغنائية لنشر الموسيقى  
العربية بأصولها التراثية القديمة.

---

23. جوت لوكابي، في الأدب الأندلسي.

وبدا زرياب القرطبي (اسمه الجذيد) نشاطه الفني بالمعهد وكان من أول الطلبة لديه أولاده الثمانية وابنتاه: علية وحمدونة، إلى جانب عدد آخر من الطلبة والطالبات.

ووضع زرياب الشروط اللازم توافرها في الطلبة والطالبات، وهي تُلخص في إخضاع الطالب لاختبار قبول وفحصه لموهبته من حيث الإيقاع، وضبط الصوت، فإذا نجح قبل ضمن للطلبة<sup>(24)</sup>.

ونقل جميع أنواع الآلات الموسيقية المعروفة في عصره في بلاد المشرق العربي "... حتى توافر للأندلس ثروة من تلك الآلات لم تعرفها بلد قبله ..."<sup>(25)</sup>، ومن هذه الآلات:

#### أ. الآلات الوترية: (العزف بالريشة).

- العود القديم ذو الأوتار الأربعة.
- العود الكامل ذو الأوتار الخمسة، (عود زرياب المبتكر).
- آلة الشورودة، (وهي تشبه آلة القانون).
- الطنبور، والقيثارة، والمزهر.
- آلة القانون، والنزهة.
- الكنارة أو الجنك (أي الهارب)، والجنك من أنواع القانون.

#### ب. الآلات الوترية: (العزف بالقوس).

- الربابة على اختلاف أنواعها.

---

24 د. محمود الحفني، زرياب موسيقار الأندلس، د. عبد الرحمن المحور، تاريخ الموسيقى الأندلسية، ص 49.

25 د. محمود الحفني، زرياب ص 110، كتاب مؤتمر الموسيقى العربية الأول، القاهرة، 1932.

- آلة النقر Naker أو Nacaire  
- آلة الطبل Timbale أو Timpani

وهذه آلة أطلق عليها زرياب اسم (الشقير) (Echiquier)، وهي من ابتكاره، وهي ذات ملاصق سوداء وبيضاء، وهي التي أخذت عنها آلة البيانو في ما بعد.

ولكن هذا الباحث البريطاني (كورت زاكن) وبذلك يكون البيانو آلة عربية<sup>(26)</sup>، فالشقير هو الاسم القديم لآلة الكلافسان، ويعتبر هذا من أسلاف البيانو وعليه صار تعديل السلم.

... أما الدور الهام في نقل فن الغناء العربي إلى القصور الملكية المسيحية، فقد قام به الأسيرات اللواتي كانت القصور المسيحية تخرج على الاحتفاظ بهن للموسيقى والغناء والرقص والسمر، وأن ذلك لم يكن مقصوراً على القصور الملكية فحسب، بل وقصور الأشراف أيضاً، وكان هؤلاء المغنيات يتحلين بحلي الأندلسيات، ويلبسن لباسهن، وكن فتيات جميلات ومعدات جسيمن سمرات البشرة، سوداوات العيون، يرقصن رقصات أندلسية غاية في الروعة، وكن يعاملن الناس معاملة كريمة غاية في الظرف، كما أن هؤلاء المغنيات العربيات كن يتمتعن بتقدير وحب عظيمين...<sup>(27)</sup>

وقد نشر زرياب الفن الغنائي بين جميع أفراد الشعب القرطبي كباراً وصغاراً وأصبحت قرطبة مسرحاً عظيماً، يغنى ويعزف ويرقص، وسرعان ما وجدت في قرطبة مجالس للغناء بمستوى لا

26 ورد هذا في قاموس Nouveau Dictionnaire de Muisques القاموس الموسيقي.

27 الباحثة الألمانية د. جيجو دعوتك. شمس الله على العرب فضل العرب على أوروبا (التصل للعلماء الطبل زرياب على أوروبا).

بل عظمة وقخامة عن مجالس بغداد، حتى لقد اشترك في أحد تلك المجالس مائتان من المغنين والمغنيات ليضربن بمختلف الآلات الموسيقية والإيقاعية من عيذان وطنابير ومزامير... (28).

ووصل صيت زرباب وتأثيره في المجتمع الأندلسي كل أرجاء أوروبا، حتى بلغت شهرة التطور العلمي والثقافي والفني مبلغا جعل ملك إنجلترا (جورج الثاني) يرسل ابنة أخيه الأميرة (دوبانت) على رأس بعثة من بنات الإشراف يرافقهن رئيس موظفي القصر الملكي الذي يحمل كتابا من الملك إلى الخليفة هشام الثالث، ومعه الهدايا والنفخ النادرة. ومما جاء في هذا الكتاب (الرسالة) (29):

"... بعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي نتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعة في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لنكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر نور العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة..." !!!

وجاء في آخر الرسالة:

"... وقد زودت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم اتجيل، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص...".  
من خدامكم المطيع

(جورج الثاني)

ملك إنجلترا والغال والسويد والنرويج

28 د. محمود الحظي، زرباب موسيقار الأندلس، ص 114.

29 د. محمود الحظي، زرباب موسيقار الأندلس، ص 167.

وينكر المؤرخون أن البعثات توافقت على الأندلس بعد دخول زرياب إليها بما لا يزيد عن عشرة أعوام حتى بلغ عدد الموفدين لتلقي العلم (700) سبعمائة طالب وطالبة من أسبانيا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا.

وتعتبر شخصية زرياب أعظم شخصية في عصره بالأندلس، وكذلك (يحيى بن يحيى) فقد كان لهما أثر كبير في انتعاش الحضاري الذي وصلت إليه الأندلس<sup>(30)</sup>.

وتخرج من معهد زرياب للموسيقى عدد كبير من إعلام الطرب أما من أولاده فقد نخرج أربعة فقط وهم: عبد الرحمن وعبد الله ومحمد وفاسم وابنتاه علية وحمدونة واشتغلوا بالفن، وتزوجت حمدونة أحد وزراء الدولة.

وكان ابنه عبد الرحمن قريباً من مكانة والده ولكن غروره واعتزاله الزائد بنفسه لم يوصله لشيء!!

وارتفعت مكانة زرياب أكثر عندما بدأ طلبته يتحولون إلى مدرسين ومدرسات يعلمن الأحرار من نساء الأندلس تلك الفنون في حشمة ووقار، وأقبل الناس على دراسة العلوم الموسيقية.

وانتشرت المعاهد الموسيقية في أشبيلية وطليطلة وبلنسية وغرناطة، وغيرها من أرجاء البلاد.

وظهرت أنواع جديدة عن الغناء وهي الموشحات والأزجال واشتهرت أشبيلية بصناعة الآلات الموسيقية وتصديرها للخارج.

---

30 د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثرهم في الأندلس، ص 232 - 234.

وإن ذلك كله بفضل عربي، تمكن وحده من غزو العالم خلال فترة قصيرة من عصر التاريخ، فماذا كان سلاحه؟ .. العزيمة والثبات والله، والدعم المادي والمعنوي من الدولة<sup>(31)</sup>.

والموهبة وحدها لا تكفي إذ لابد أن يساندها العلم، فكانت السواعد الموسيقية على المستويات العلمية الرفيعة.

ولا اعتقد أننا في حاجة إلى سرد المزيد من الشواهد على فضل العرب على أوروبا في الثقافة والفنون إلا أنني أود أن أقول أن رباب قد توفي عام 852 م، وبين زرياب وبيتهوفن وموتسارت أكثر من ألف عام فرق زمني.

ولذلك لابد من المقارنة بيننا نحن العرب وما كنا عليه في القرن التاسع الميلادي، وما كان عليه الغرب الأوربي في القرن الثامن عشر الميلادي من تخلف، نشته هذه الوقائع:

في عصر أوروبي متقدم 1756 - 1791 هذه الفترة هي التي عاش فيها: موزارت الموسيقار النمساوي والموسيقار بيتهوفن، كان موزارت رغم صغريته يعمل في قصر الحاكم ويقدم مع الخدم والطباخين ويعامل كما يعاملون ويهان كما يهانون ويأكل في المطبخ مثله مثل الخدم.

وكان الحال كذلك بالنسبة لبيتهوفن، ولو أنه كان منمردا على العادات والتقاليد ولا يحب التسلط الفردي، ولذلك عاش فقيرا متشردا مريضاً.

---

(31) البند على هذا إراء المستشرقين الميئين بثرات الموسيقى العربية ونورها في العالم .. ومقدم:

إبراهيم .. بالشتيا .. بروفستال .. كورت زاكس .. دوازي .. محسن.

ومن المأسى أن موزارت عندما مات كانت جثته رهينة في  
مديونية مالية ولم يسمح بدفنه إلا بعد أن دفع الحاكم على مضض هذا  
الدين، وتم دفنه بعدها في مقابر المجهولين !!!  
قارنوا بين هذا العصر وعصر زرياب الذي سبقهم بحوالي ألف  
عام .. إلا يتضح لكم تباين المستوى الحضاري والفكري في مدى  
تقدير العرب والعصر الذهبي الأندلسي وكذلك العباسي لأهل الثقافة  
والأدب والفن والعلوم، وما لاقاه عباقرة أوروبا في عصرهم الذهبي  
عصر الموسيقى الكلاسيكية والرومانتيكية، والتي أساسها جميعا  
المجد العربي في عالم الموسيقى والغناء والعزف الألى.

[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)



**[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)**

## المبحث الثالث

### الموسيقى الأفريقية في الأندلس

لقد أعطت الموسيقى العربية لأوروبا بسخاء منذ أن استقر العرب في الأندلس وصقلية وكريت، ووصل هذا العطاء إلى ما حول هذه الجزر.

ولازلنا نلمس حتى اليوم خصائص وطبائع وملامح موسيقانا الشرقية العربية في تلك البقاع ولاشك أن الموسيقى الأوروبية قد استفادت من حضارتنا وأخذت علومنا ولكنها طورتها.

فلماذا لا نوازن ونقارن ونطلع على ألوان الجمال في الموسيقى الأوروبية الراقية الآن، ونضيفها إلى ثقافتنا الموسيقية وبالمزج بين أصالتنا و النظم العلمي سنكون لدينا أعمال عبقرية جديدة قد تعود لأوروبا من جديد وتأخذها مرة أخرى، وهذا دليل على تطورنا أيضا.

شبابنا العربي والأفريقي اليوم تستهويهم صيحات الفلامنكو الأسباني، وإذا ما بحثنا عن السبب، نجد الجواب عند فنّان أسباني<sup>(32)</sup>، فيقول: إن ميزات وخصائص الفلامنكو ذاتها نجدها في بعض الأغاني الأندلسية، وهي أغاني مازالت تحتفظ بالكثير من الموسيقى التي تعرف لحد الآن بأقطار شمال أفريقيا (المغرب، تونس، الجزائر، موريتانيا، ليبيا) وهي موسيقى الغرناطي، والتي إذا ما تكلمنا عنها فنحن نتكلم في الحقيقة عن موسيقانا العربية بمفهومها

32 الشاعر الأسباني فريدريكو كارسيلا توريكا 1899-1936ف.

العام، ذلك لأن الموسيقى الأندلسية عموماً ما هي إلا نتاج الحضارة العربية، والعناصر البشرية التي أنتجتها وأحببتها وهم العرب والبربر والقوط والصقالبة الذين تشكل منهم سكان الأندلس في ذلك الزمان.

والى جانب هذه الملامح الموسيقية الشرقية، نجد في الموسيقى الأندلسية ملامح فنية ذات أصل أفريقي، ساعدت على إيجادها تلك العناصر البشرية الأفريقية.

وغير صحيح الاعتقاد بأن الموسيقى الأندلسية متأثرة بالموسيقى الشرقية وحدها، بل كان العنصران الشرقي والأفريقي مشاركان في رسم ملامح الإبداع والإنتاج الفكري معاً.

والمعروف أن الجيش الذي رافق القائد طارق بن زياد في عملية الفتح بلغ تعداده أكثر من إحدى عشر ألف من الجنود، دخلت بلاد الأندلس، وكان يضم عشرة آلاف جندي من البربر، وأكثر من ألف ومائة جندي من السودان<sup>(33)</sup>، وبذلك حملت الموسيقى الأندلسية بعض ملامح الموسيقى البربرية والموسيقى الأفريقية، والدليل على ذلك قيام بعض الألحان الأندلسية على السلم الخماسي، وهو وإن يكون قد تعرض لبعض التعديلات المحلية إلا أنه بقي بلونه المميز، كما هو في الأغاني الأمازيغية الموجودة لحد الآن بجنوب المغرب، وهي قريبة جداً من الحان وموسيقى دول أفريقيا الغربية.

وباندماج عناصر المجتمع الجديد مع بعضهم البعض وتزايد الألحان دخل على الموسيقى الأندلسية نوع جديد من الإيقاعات وانطباع (المقامات) العربية والأفريقية.

33 د. حسين مؤنس، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، المجلد (18)، القاهرة 1974، ص 128.

(مقتلة عن فتح الأندلس).

وكما نعلم أن الموسيقى العربية والأفريقية من أغنى موسيقى العالم بالإيقاعات، ففي الوقت الذي لا تخرج فيه الموسيقى الأوروبية عن إيقاعين هما الثنائي والثلاثي، نجد مئات الإيقاعات العربية والأفريقية في موسيقانا، والمعروف أن تنوع الإيقاعات يؤدي إلى تنوع تعقيلات الجمل اللحنية الموسيقية، ونحل هذا هو السر في اعتماد الألحان الغربية على جملة واحدة (ميلودي) ويخضطرون إلى اعتدائه بالهارموني، بينما الألحان العربية والأفريقية كثيرة الجمل اللحنية ولا تحتاج إلى التوزيع الموسيقي (الهارموني) بالدرجة التي عليها الألحان الغربية.

[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)



قرون.. ألة موسيقية من البيئة، أوحى للأوروبيين باختراع عشرات  
الآلات الموسيقية التي تؤدي ذات أغراض هذا القرن في العزف .. !!

[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)

## الفصل الثاني

أثر الموسيقى الأفريقية على موسيقى العالم

---

## ملهيد

اكثر مظاهر الثقافة انتشارا وشيوعا في المجتمعات الإنسانية  
التي بقروعه المختلفة، فلا يمكن أن نجد تجمعا إنسانيا واحدا يخلو  
من وجود أشكال وأساليب للتعبير الجمالي.

ولا نعني وجود جميع فروع أو أشكال الفنون في المجتمع  
الواحد، ولا نعني أيضا المستوى الفني أكان من المتقدم الراقي أم  
البدائي، ولكن ما اعنيه هو عدم خلو أي مجتمع من لون وشكل  
وأسلوب من أساليب الفن.

فالفن أحد أهم العموميات الإنسانية في الثقافة الإنسانية ككل،  
ذلك لأن الإنسان يميل بطبعه إلى التعبير عن إحساسه بالجمال، لأن  
التعبير الجمالي هو أيضا خاصية أساسية من خصائص الإنسان، وإن  
كانت أساليب وأشكال هذا التعبير تختلف من مجتمع إلى آخر، وذلك  
بحسب الثقافة السائدة في هذا المجتمع أو ذلك (34).

في المجتمعات المتقدمة يعتبر الفن من أوجه النشاط المتخصصة  
التي يمارسها أشخاص مبدعون متفرغون تماما للنشاط الفني الذي  
يحتاج للموهبة والمهارة والقدرة على الإبداع والابتكار، وهذه لا

34 مجلة عالم الفكر، المجلد السادس، العدد الأول، أبريل - مايو - يونيو 1975، الكويت، ص 4.



تتوفر لمعظم أفراد المجتمع، ولكن ذلك ليس في كل المجتمعات فليس المجتمعات المختلفة، لا يجرؤ المبدع على طلب التفرغ والخصيص، وذلك لعدم قيم أهمية الفنون وأثرها في تقدم المجتمع، من المسؤولين في المجتمع نفسه.

وفي أفريقيا، لعل ذلك يرجع إلى كون القارة قد عانت الكثير والكثير من الولايات ولم تعرف الاستقرار يوما، وعادة الفن لا يصل إلى درجة التفرغ والاحتراف وشكل المهنة إلا في المجتمعات المستقرة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

ونتناول في هذا الفصل الموسيقى الأفريقية وأثرها في الموسيقى الأوروبية والأمريكية. وذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول: البداية الموسيقية.

المبحث الثاني: الوظائف الاجتماعية للموسيقى الأفريقية.

المبحث الثالث: الشكل والمعنى في الموسيقى الأفريقية.

المبحث الرابع: الموسيقى الأفريقية إبداع مشترك.

المبحث الخامس: الموسيقى الأفريقية وتمييع الثقافات.

المبحث السادس: الرق .. وظيول تام تام.

# المبحث الأول

## البدائية الموسيقية

هناك الكثير من الأشياء التي كان الإنسان القديم يصنعها ويتفنن في صنعها دون أن يستخدمها بالفعل في حياته اليومية كمنحوت الأندال والرسومات على جدران الكهوف وغيرها، فهذه الأشياء المبدئية والغير مفيدة للإنسان في زمنه بشكل مباشر هي دلائل على وجود الدوافع للتعبير الجمالي عند الإنسان منذ فجر تاريخه الأول، ولا ننسى أن هناك علاقة وثيقة جدا بين التعبيرات الفنية والمعتقدات الدينية وممارسات السحر، وهي علاقة لازالت جذورها باقية لنجوم في الكثير من المجتمعات، وتنبهاها الكثير من الثقافات والحضارات بشكل خاص (35).

وفي المجتمعات على اختلافها، يستعان بالفنون المختلفة في أدوار دور العبادة في مختلف الأديان، واستمر ذلك إلى عهد قريب، والآن في هذا العصر أصبحت التعبيرات الجمالية تتخذ طابعا دينويا مع بقاء بعض التعبيرات التي نجدها في فن العمارة لازالت سائدة في دور العبادة في الشرق والغرب.

وإذا كان باستطاعتنا أن نخمن لمعرفة الحقيقة التي ظهرت فيها بعض الفنون التشكيلية، فإن تاريخ بداية الموسيقى بالذات تعتبر مسألة صعبة التحديد، لأن الشواهد والأدلة المادية في الترواسيب أو البقايا

---

35 مثل إحياء تراث وأثار الفراعنة في مصر.

فالموسيقى تستند إلى أساس علمي يتضمن الطبيعة والرياضة وترتبط بالأدب، وتؤثر بالشعر، وفن العمارة والنحت والتصوير والرقص والتمثيل، وهي تؤثر أيضا في هذه الفنون جميعها، ولكن نفهم الموسيقى فلا بد من أن نحاول الربط بين حقائق تاريخ الموسيقى، وتاريخ الروح الإنسانية، والحضارة العلمية في مظاهرها المختلفة، وتاريخ الأحوال السياسية والاجتماعية، فكل ذلك أثر بالغا على الفن والعلم.

ويظهر هذا بدرجة أكبر من الوضوح في المجتمعات البدائية والقصد بالبدائية التي لازالت في بعض مظاهر حياتها طبيعية ولم تغرها حضارة الزيف الغربية وتقلب نظامها رأسا على عقب، كما هو الحال في اغلب بلدان العالم اليوم.

وسأخذ وضع الموسيقى في أفريقيا وعلاقتها بالثقافة السائدة في المجتمعات القبلية هناك مثالا.

فبينما نجد في المجتمعات المتقدمة الميل الواضح نحو تقسيم الفنون إلى دوائر ومجالات منفصلة وعزلها عن مظاهر الحياة اليومية؛

- الفنون المجردة.
- الفنون التطبيقية.
- الفنان المبدع.
- الفنان التجاري.
- الفنان المحترف.
- الفنان الهاوي.

وغير هذه من التقسيمات، فمثل هذه التمييزات لا توجد إطلاقا في المجتمعات التي توصف بأنها بدائية، حيث يعتبر فيها الفن جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية، بمعنى أنها تتدخل في كل شيء في النشاط اليومي للإنسان.

ومناسبة النشاط الجمالي الذي تلعب فيه الموسيقى والغناء دورا  
مهما أو أساسيا.

ومن الأمثلة التي توضح ذلك:

- أ- قبيلة الهوتسو في رواندا تميز ما لا يقل عن 24 نوعا من الأغاني الاجتماعية العامة التي لا تدخل في نطاقها الأغنية الدينية. وتتناول الأغاني الاجتماعية موضوعات كثيرة:
  - ومنها ما يغنيه موسيقيون محترفون لأغراض الترفيه.
  - ومنها ما يؤدي في مناسبات الحرب أو تقديم الولاء للزعيم.
  - أو الصيد أو الحصاد أو الاستغلال العامة.
  - ومنها ما يتعرض للأوروبيين بالاستهزاء والسخرية.
  - ومنها ما يتحدث عن الموت والحياة<sup>(39)</sup>.

ب- قبيلة التوتوسي في رواندا أيضا ولها الكثير من الأغاني التي تتناول مختلف الموضوعات حتى السياسية منها<sup>(40)</sup>، فالطبول عندهم تعتبر رمزا للقوة السياسية، بل أن الدف الذي يطلق عليه عندهم اسم (كالنجا) يعتبر دفا مقدسا، وشعارا للسيادة والسلطة وحماية المجتمع من الخطر، ولذا فإنه لا يقرع إلا في مناسبات خاصة، بل أنه يمنع بمنزلة اجتماعية عالية، وله حقوق تماثل حقوق السلوك نفسه في بعض الأمور، فالطبول تقرع على شرف ذلك الطبل، كما أن الناس يصفقون له ثلاث مرات حين يعزف أمامه، ويدهنونه

39- بانكوم وموسيكوفيتز، الثقافة الأفريقية، دراسات في عناصر الانحرار والتغير، 1963.

ترجمة عبد الملك الشاذلي، المكتبة المصرية، بيروت 1966، ص 19.

40- 4022 الأفريقية، المرجع السابق، ص 103، من الترجمة العربية.

بالزينة ويدم أنواع معينة من الثيران تنبح كقرابين، بغصد وقابته من التلغ.

ج- قبيلة بمبارا Bambora فهذه القبيلة تسند بعض الرموز إلى الآلات الموسيقية ذاتها بحيث تمثل تلك الآلات بعض صفات الآلهة أو بعض الخصائص الإنسانية، وهم ينظرون إلى القيثارة على أنها ترمز إلى الإنسان، أي السلف الأول الذي انحدرت منه القبيلة كلها.

وكتبت في هذا عالمة الأنثروبولوجيا الفرنسية Viviana Paques فيغيانا باك في كتابها عن المبارا، وقالت:

"إن التصندوق المستطيل في هذه الآلة الموسيقية يمثل قناع كوسايانا -السلف الذي أوتى الكلمة- وترمز القطعتان الجانبيتان وأسنانه والأوتار الثمانية إلى -كلماته- وترمز القيثارة كلها إلى -ضريحه- ويرمز القضيبيان اللذان يقطعانها عرضاً إلى -السلفين الثاني والثالث- اللذان رافقاه عند موته -ويمثل التصندوق كذلك وجه الكاهن العراف وضريحه- ويمثل القضيبيان ساقَي الزرة اللذين عرسا في المكان الذي دفنت فيه الجثة، وفي نهاية مقبض القيثارة توجد أجراس نحاسية تلعب دوراً يجمع الناحيتين الفنية والدينية، وبشبه نور الأجراس المثبتة على لوح الطيل ...".

"ويمثل كل صوت يحدثه كل وتر من الأوتار الثمانية نوعاً من الصلاة، ويشد الكاهن العراف الأوتار كلا على حدة بحسب رقتها...".

وتصدر القيثارة احتفالات التضحيات ومراسيم التطهير والمعالجة والتنقية والتكريس، وتلعب كذلك دوراً هاماً في التأملات الفردية، وتعتبر نغماتها العالية الحادة سماوية، ويعتقد أنها ترمز إلى

الفرقة، أما نغماتها الجيبرة المنخفضة الحدة فتدل على أشياء خطيرة  
يرجع إلى النقص.

وتستخدم الفيتارة في مناسبات مختلفة كالإعلان عن الحل  
والمرحلات، والخصب والخصب، ودعوة الناس إلى الامتنان للأوامر،  
والنوع الفيتارة بهذوء بجوار مستنقع حيث يدل وجودها على  
السلام والطمانينة!!.

وقبل أن يبدأ العازف بالعزف على الفيتارة يدنو بفسه إلى فوهة  
صندوقها، ويهمن مخاطباً سبب الكلمة بالعبارة التالية: (والآن جاء  
أورك، فيلم نظم العالم)<sup>(41)</sup>.

[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)

---

41 باسكوم وهو سكو فيلر - الثقافة الأفريقية، مرجع سابق، ص 107-108

**[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)**





هذه نقوش قديمة وجدت في الجبال الأفريقية.. وهي توثيقية لألات  
موسيقية وترية ونحاسية وآلات قرع إيقاعية.  
لم يستطع الأوروبيون سرقتها لأنها ثابتة وراسخة رسوخ جبال  
أفريقيا..!



التعرف بدقة على كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية، وأنماط السلوك والقيم التي كانت سائدة في المجتمع<sup>(42)</sup>.

د - كما تم توظيف الموسيقى في أفريقيا لنشر القوانين والأوامر عن طريق الغناء، والاتصال بين قبيلة وأخرى لدعوتها لمناسبة طيبة كالزفاف، أو دعوتها للمشاركة معها في حرب قبيلة أخرى، وغير ذلك من الأغراض الاجتماعية التي تحتاج إلى الإعلان عنها.

هـ - ومن أهم وظائف الموسيقى الأفريقية تلك الألحان الخاصة بأنواع النشاط الاجتماعي، فهناك إيقاعات خاصة والحن خاصة لأعمال الزراعة تبدأ من الحرث ثم جنى البذور ثم ترسيها ثم تخزينها وكل هذه موسيقاها الخاصة التي يتغنّى بها المجاميع العاملة أثناء عملهم فتزودهم بالنشاط والهمة.

وهناك أيضا الموسيقى والإيقاعات الخاصة بالمناسبات كالخطبة وحفلات الأفراح، وحفلات المواليد، وطلب المطر، ورقصات الانتصار، والموسيقى الجنائزية الحزينة، وموسيقى وإيقاعات استقبال الضيوف وتوديعهم، واستقبال الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية.

---

42 ويوجد في بلاد العربية هذا النمط قديما حيث كان القروي يروي القصص الشعبي مثل حشرة واهوزيد الهلالي على آلة الربابة.



الإيقاعات الأفريقية.. إبتكار أفريقي لم يستطع الأوروبيون الإضافة إليه..

لما يتميز به من دقة وإتقان وإبداع

**[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)**

## المبحث الثالث

### الشكل والمعنى في الموسيقى الأفريقية

كان المفهوم الشائع عند الباحثين وكتاب الذين اهتموا بتطور الفن، أن الفنون لدى الشعوب التي لم تصل إلى التقدم المطلوب وكذلك الثقافات في هذه المجتمعات البدائية، أقل نضوجاً عنها في المجتمعات المتقدمة.

واستمر هذا المفهوم سائداً في أوساط المتقنين والمحليين للنشاط الثقافي والفني في المجتمعات، ولكن بالاطلاع المباشر والمعايشة لتلك المجتمعات البدائية تغيرت الفكرة، ففي السابق كان التفكير في أن مسألة النضوج المطلوب مرتبط بكل النشاطات الحياتية غير الفنون (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية...) وفي ذات الوقت كانوا يقومون بعملية مقارنة بين أساليب التنفيذ والأداة المستخدمة في إنتاج الفنون بين المجتمعات البدائية والمجتمعات المتقدمة، ونسوا أن إنتاج الفنون والثقافة لا يعتمد بالدرجة الأولى على التقنية بقدر ما يعتمد على الموهبة والصدق والابتكار.

والكثير جداً من النقوش والرسوم التي ترجع إلى العصر الحجري القديم تكشف عن درجة فائقة من الكفاءة والدقة في الأداء على الرغم من كل ما كان يعاني منه الفنان، في ذلك الزمن من نقص في الأدوات والمعلومات وقصور في الأساليب، التي يحتاجها المبدع في التعبير عن تصورات وأفكاره، ورغم ذلك فإنه يأتي

بالجدید المبتکر 'والجدید المبتکر هو ما يأتي عفوا دون أن يفكر فيه الإنسان' (43).

و'لحسن أعمال الفنان وأمنتها ما يصدر عن المبدع عفوا في غير تكليف' (44).

وهذا الكلام نفسه ينطبق بصدق على كثير جدا من ألوان الفن التي توجد الآن لدى الكثير من شعوب العالم التي لازالت بالنسبة لقائمة التقدم والتخلف في آخر القائمة، ومن هذه الشعوب الكثير من الشعوب الأفريقية، والنضوج في العطاء الفني والثقافي، يظل مسألة يصعب الحكم عليها أو قياسها.

ويقول علماء الأنثروبولوجيا:

'إن كل الفنون عند كل المجتمعات، وفي كل الثقافات فيها نوع خاص بها من النضوج والرفقة والسمو، وإن كان يصعب تقديرها، إلا إذا قمنا بمقومات تلك الثقافة، والعناصر الأساسية التي تدخل في تكوينها، ومدى التفاعل بين الفنان والثقافة التي يعيش فيها، وبالتالي قدرته على التعبير عن تلك الثقافة'.

والصحيح أن موسيقى أي شعب مهما كان بدائي أو نامي لا تخلو من (الشكل والمعنى)، والأصوات الموسيقية عندهم ليست مجرد أصوات عتافرة لا تنظمها وحدة إيقاعية، وهي ليست مجرد نغمات على وثيرة واحدة كما يقولون، بل على العكس هي أكثر بساطة وأقل تعقيدا من الموسيقى في المجتمعات الأكثر تقدما ورقيا وحضارة، مع ملاحظة أن الإيقاعات الأفريقية بما فيها من إيقاعات مركبة هي أكثر غنى وأكثر تعبيراً من أي إيقاع في أي موسيقى من موسيقى العالم.

43 الموسيقار العالمي بيتهوفن.

44 الموسيقار العالمي هاويغان.

ويقول علماء الموسيقى في هذا الصدد:

إن أنماط الإيقاع في الموسيقى الأوروبية الحديثة اشد بساطة منها في كثير من الموسيقى غير الغربية وبالذات الموسيقى الأفريقية.

فالموسيقى الأفريقية تتميز بإيقاعاتها بالتعقيد وسرعة التغيير، ورغم بساطة الآلات المستخدمة في العزف إلا أن الإيقاعات غنية ومتنوعة، ولهذا السبب استعاد الملحنون في الغرب بأساليب جديدة في التلحين والتعبير الموسيقى والموسيقى التصويرية بفضل الإيقاعات الواقعة عليهم وخاصة الإيقاعات الأفريقية بما فيها من تعبير هائل، وإحياء بجمل لحنية جديدة على الأسلوب المعروف في الغرب في الماضي.

والمعروف في الإيقاعات الأفريقية أن منها أنواع مختلفة فقد يمسح الإيقاع حركة الجسم كما في الرقصات الأفريقية، وهناك أصوات تعبر عن البيئة وتصورها خير تصوير، مثل آلات القرع والخشاخيش والأجراس، أو إيقاع الضرب بالأيدي على الأقدام، أو على بعض أجزاء الجسم الأخرى، أو طرق بعض العصي إحداها بالأخرى<sup>(45)</sup>، وذلك كله بالإضافة إلى دقات الطبول المتواصلة.

كما أن الدارس للموسيقى الأفريقية يكتشف أنها ليست عشوائية بل أن لها أنماط محددة تمام التحديد.

لدرجة أنه بالإمكان تحديد المناطق الموسيقية في أفريقيا تحديدا دقيقا، بمعنى تقسيم القارة كلها إلى مناطق موسيقية متميزة، تبعاً

---

45 كما في رقصة الكينكا المعروفة في بلانتا.

وقد خضعت هذه النماذج والعينات للدراسة والتحليل، واستغلوها في الغرب استغلالاً كبيراً في ألوان جديدة من الموسيقى، وصدرت مجموعة من الموسيقى التصويرية مثل موسيقى فيلم ناي تنك (Titank) والآلات الإيقاعية المستخدمة في الأغنية الرائعة بهذا الفيلم، وما تقدمه فرقة الموسيقار العالمي ياني Yanne، والموسيقى والآلات الموسيقية والإيقاعات المستخدمة في البرنامج العالمي المرئي (عالم البحار) وغيرها ...

وهناك الكثير من الثروة الموسيقية لدى الشعوب الأفريقية تنتظر من يهتم بها بجمعها وتسجيلها وإخضاعها للتحليل الدقيق، وخاصة إذا ما قام بهذا العمل فنان أو أكثر من المتخصصين في علوم الموسيقى ومن ذات البيئة أي من الفنانين الأفارقة فلا شك أنهم الأقرب لفهم هذا التراث مما سيصدر عنه تحليل وتصورات تختلف أنت الاختلاف عن تصورات علماء الغرب الذين استغلوا دراستهم للفنون الموسيقية الأفريقية المسطو والنهب والقرصنة بدليل استغلالهم لما تحصلوا عليه في أعمال فنية جلبت لهم المال، واستدوا هذه الإبداعات الإيقاعية والموسيقية لمحنهم ومؤلفهم في الموسيقى والغناء.

**[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)**





آلة موسيقية من قرن حيوان.. أفريقية.. وهي أم آلات النفخ النحاسية  
الأوروبية والأمريكية

## المبحث الرابع

### الموسيقى الأفريقية إبداع مشترك

في المجتمع الأفريقي لا يوجد الاحتراف للفنون وبالتالي فلا نجد هنا منقطعا أو منفردا طيلة الوقت للتأليف الغنائي أو الموسيقى أو للأداء أو العزف.

فالمشاركة في الصنع جماعية، فهذه الشعوب لا تعرف نظام التخصص أو تقسيم العمل، بالمعنى السائد في المجتمعات المتقدمة - وبالذات المجتمع الصناعي الغربي - فالعمل في المجتمعات الأفريقية جماعي، وبذلك فالإنتاج الفني عملا جماعيا ينبعث من الجماعة كوحدة واحدة وبشترك فيه الكثيرون من أفراد الجماعة.

ولذلك فكلما كانت الجماعة أكثر تأخرا وبداءة، كانت المشاركة في العمل الفني أكثر جماعية، والدليل هو أننا نجد الأطفال في المجتمعات الأفريقية البسيطة التي تعيش على جمع والتقاط المحاصيل من الحقول، يعرفون ويرددون ويحفظون كل الموسيقى والغناء التي تتلاءم مع جنسه الخاص (عشيرته - قبيلته)، وهناك العديد من المؤلفات الموسيقية الغنائية التي ينظر إليها كما لو كانت (ملكا خاصا) لبعض القبائل أو العشائر أو العائلات الكبيرة، أو لأحدى الجمعيات المعلنة أو السرية، بحيث لا يسمح لغير أعضاء تلك الجمعيات بالاشتراك في أداء هذه الأغاني. ويزداد هذا الوضع وضوحا في المجتمعات الزراعية البسيطة، ولهذه المشاركة الجماعية

**[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)**



الآلات النحاسية.. رمز القوة في الموسيقى.. أغراضها عسكرية..

## المبحث السادس

### الرق .. وطبول تام تام

يحدثنا التاريخ أن أفريقيا ، كان تتعادل مع أوروبا في القوة خلال الفترة 1600 - 1850 م إلا أنه عقب ذلك حصل التفاوت الهائل نتيجة الثورة الصناعية التي نقلت أوروبا وأمريكا إلى مصاف الدول الكبرى .

ورغم ذلك لم تزل تلك الدول تحسب ألف حساب للأفارقة إلا أن المخططات الاستعمارية بدأت في التنفيذ بالحملات التبشيرية وغيرها من الوسائل تمهيدا للانقضاض علي العملاق الأفريقي وإيقافه حتى لا يكون نداً وقضاءاً دولياً وبحيث لا يكون له وزن في ميزان القوى .

ولعل الاستعمار البرتغالي الذي كان يأتي بالعبيد من أفريقيا للقيام بالأعمال الزراعية والأعمال الشاقة الأخرى ، هو الذي أوحى إلى الأسبان بأن يفعلوا هم كذلك نفس الشيء . من أجل أن يزرعوا الأراضي التي احتلوها على امتداد مناطق الكاريبي وأمريكا الوسطى فحيث لم يكف انهنود سكان البلاد الأصليين للقيام بهذا العمل، فقد تم التفكير في الأسرى الأفارقة، وبهذا بدأت تجارة استرقاق الأسرى من مجرد عدد للعمل بالمزارع إلى مشروع تجاري أوروبي وصفقات مالية لم تقه، واستمر هذا الحال (300) ثلاثمائة عام وأكثر .

فمن يعمل في مزارع السكر والتبغ .. لا غير ملايين الأفارقة وهكذا نالت أفريقيا ما لم يكن في الحساب وهو التبغ والتشرد والاستعباد ، لتتال أوروبا بالمقابل الثروات الطائلة والقوة المتنامية . وفي الحقيقة لقد كانت مصيبة أفريقيا من داخلها ، فالزعماء الأفارقة كانوا يشترون السلع المصنعة من الأوروبيين مقابل أسرى الأفريقيين ، يتم شحنهم عبر الأطلنطي ، يشترون كالعبيد . وكان هؤلاء الأسرى المساكين يباعون كسلعة في تجارة مثلثة الخطوات :-

**الخطوة الأولى :** يدفع الزعماء الأفارقة الأسرى الأفارقة مقابل السلع المصنعة

**الخطوة الثانية :** التاجر يشتري السكر والتبغ من المصانع وبيعها بأسعار خيالية في أوروبا ، ويدفع مقابل ذلك الأسرى الأفارقة .

**الخطوة الثالثة :** ويعود بيعهم من جديد .. هكذا ..

ومن هذا نستخلص أن تجارة الرقيق كانت السبب المباشر في قيام الثورة الصناعية في أغلب الدول الأوروبية الأمر الذي وصل إلى المزيد من القهر للأفارقة الذين كانوا يطاردون في بلدانهم وبأمر من الملوك والمشايخ والزعماء الأفارقة لتقبض عليهم أو اصطيادهم لبيعهم إلى السيد الأوروبي!!!

ولم ينته ضمير الجماهير البريطانية إلا في عام 1807 وإرضاء للجماهير الساخطة اضطرت بريطانيا لإلغاء تجارة الرقيق . وفي ذات الوقت واصلت البرتغال وأمريكا تجارة الرقيق بأكثر قسوة وقهر ، ولم ينته هذا الوضع المؤسف إلا في منتصف القرن التاسع عشر .

وحتى نتعرف على قصة ظهور موسيقى الجاز الأمريكي نتحدث عن مدينة (أورليانز الجديدة) التي قدمت للعالم نجوم موسيقى الجاز.

مدينة أورليانز الجديدة، على نهر المسيسيبي، وسكان هذه المدينة هم خليط من المهاجرين - الأسبان والإنجليز، ومنهم تتكون طبقة الأسياد، فكل منهم يمتلك عدداً كبيراً من الأفارقة، الذين يسخرونهم في جميع الأعمال، وخاصة الزراعة.

في هذه المدينة ظهر نجوم موسيقى الجاز الأفريقي، الذي عرف بالجاز الأمريكي.

ونذكر منهم :-

لويس أرم سترونج، أوليفر، بكيث، وغيرهم وجميع هؤلاء النجوم كانوا من الرقيق الأفارقة، وهذه الأسماء ليست لهم بل هي أسماء أسيادهم البيض، وهي وراثية بين البيض للأفارقة منذ استورد نجار الرقيق أجدادهم من أفريقيا في القرن السابق .

وموسيقى الجاز ظهرت نتيجة لظروف تاريخية واجتماعية علماً بأن هذا النوع من الموسيقى احبه جميع من هم في أمريكا بغض النظر عن جنسياتهم وألوانهم واتجاهاتهم وكان أهم الظروف التي أوجدت هذا اللون من الموسيقى هو إلغاء نظام الرق العبودية عام 1863م على يد الرئيس الأسمر (ابراهيم لينكولن). وكذلك نهاية الحرب الأهلية الأمريكية عام 1865م.

وبعد هذه السنوات، القرون الطويلة وجد الزنوج أنفسهم أحراراً في مدينة أورليانز الجديدة، والتي كان أهم شوارعها المسمى (رامبارت) حيث توجد به صالات الموسيقى والرقص الأوروبي (القالس والبولكا)، كما يوجد بالمدينة دار الأوبرا الفرنسية، وفرق

نحاسية صغيرة مهمتها عزف الموسيقى في شوارع المدينة نهراً وخاصة في العطلات والمناسبات.

بالنسبة للأفارقة وفي سنوات الرق كانوا في حاجة إلى ما ينسبهم العذاب ولو قليلاً، فقد جلبوا معهم من أفريقيا موطنهم الأم الأصلي، تراثهم من إيقاعات والحن احتفظوا بها وتوارثوها من جيل إلى جيل، وكانوا يرددونها في حقول القطن، أو أثناء سمرهم لتسلية أسيادهم البيض وكان أهم ما نفت أنظار الأوربيين هي تلك الطبول الكبيرة التي تسمى تام تام أو بامبولام، والتي كانوا يصنعونها بأيديهم، ويشدون عليها جلود البقر، وكان الأوربيون يشلون بالفرجة على عبيدهم وهم يلهون فأطلقوا على تلك السيرات اسم (راج تايم) أي أوقات المرح اللامحدود، أو العفرنة والمزاج.

والألحان الأفريقية التي جلبوها معهم وإيقاعاتها الرائعة، بالإضافة إلى ما تعلمه الأفارقة من الحان الكنائس، كل هذه امتزجت مع صرخات عذاب العبودية، وتعبيرات الأرواح المكننة المعذبة واليأس كل هذه العناصر المؤثرة هي التي كونت موسيقى الزنوج في أمريكا.

وعندما انتهت الحرب الأهلية تركت فرق الموسيقى العسكرية الآلات الموسيقية النحاسية في الشوارع، فجمع الأفارقة هذه الآلات وأخذوا ينفخون فيها محاولين عزف الحانهم المحفوظة أو المارشات العسكرية التي كان يسمعونها، أو أية أنغام تلقائية أخرى إلى أن وصلوا هكذا بالقطرة والسليقة وبدون قصد ابتكروا أسس موسيقى الجاز، وبذلك أصبحت أيضاً الآلات النحاسية هي الآلات الأساسية لعزفها.



وكما هو معروف أن الآلات النحاسية يمكن استخراج الألحان البسيطة عليها بدون دراسة أو تعليم، لأن الأصوات تصدر تلقائياً، وهذا بعكس الآلات الموسيقية الأخرى وخاصة الوترية.

وفي عام 1895 تكونت في مدينة أوليانز الجديدة، أول فرقة تعزف موسيقى الجاز برئاسة (بادي بولدن) الذي كان يعمل حلاقاً في النهار، وعازف علي آلة الكلارنيت بالليل.

وكانت فقرات البرنامج تعتمد على الارتجال فهم لا يعرفون نوتة موسيقية ولا قواعد ولا أصول الموسيقى بل يعتمدون على الارتجال فقط (الذي يثبته التقاسيم الحرة في الموسيقى العربية) وكانوا يشتركون في هذا الارتجال وتتطلق منهم الأصوات في كل اتجاه دون قاعدة، ولكنها على كل حال كانت تعبر عن مأساتهم الطويلة، وحريتهم التي ما كانوا يحتمون بها، ولذلك كانت الألحان ذات تعبير مزيج بالصدق والإبداع.

وتزايد عدد الفرق بالمدينة، وأصبحت في كل صالة وشارع في كل مناسبة وبيت وفي مقدمة زفاف كل عروسين وكذلك أمام المواكب الجنائزية.

في عام 1920 دخلت آلة البيانو إلى موسيقى الجاز واخذ عدد من الموسيقيين البيض يكونون فرق مماثلة في عزف موسيقى الجاز مع إضافة تدوين المقطوعات الموسيقية والأغاني بالنوتة الموسيقية ولكنهم لم يحققوا أي نجاح لأن الروح الزنجية كانت تنقصهم بما فيها من حركة ومرح وجاذبية وهذا الأمر اضطر البيض إلى ابتكار نوع جديد من موسيقى الجاز أطلقوا عليه اسم (بيكسي لاند) انتشر في أمريكا بفضل أسطرة الخيالة (السينمائية) وشركات الاسطوانات.

ثم قامت الحرب العالمية الثانية ولكن ذلك لم يؤثر على الفنون، وخاصة فن الموسيقى التي لم يقف تطورها بل أن موسيقى الجاز صارت هي موسيقى الرفص بكل أنواعه.

وانتقلت زعامة موسيقى الجاز إلى مدن أخرى في أمريكا فمن شيكاغو إلى بال تيمور وواشنطن ونيويورك وبوسطن وفي كل هذه المدن تكونت فرق الجاز التي كانت تجري العقود والاتفاقات مع المبتكرين الأصليين من الزنوج من مدينة أولياقر التي تعتبر هي المعهد الأساسي الذي ابتكر هذا الفن، وذلك للعمل مع الفرق كعازفين محترفين، فهم الأصل وهم النجوم لفن الارتجال (53).

في حي (هارلم) الذي يسكنه الزنوج بصفة عامة في مدينة نيويورك لمع كل من:

(فلتشر هندرسون وديوك الينجتون) وكلا من الموسيقيين الدارسين .. وشكلا فرقة جاز وضاعفا عددها من ثمانية إلى ستة عشر عازف وكتبوا النوتة الموسيقية، وأصبح أمام كل عازف حاصل نوته موسيقية، ومن هنا بدا أسلوب الارتجال يخفى ما عدا العزف الانفرادي للعازفين المهرة (صولو).

وتم إطلاق اسم جديد على الجاز وهو (الجاز الجاد) ونجحوا نجاحاً ملحوظاً، وأصبحت حفلاتهم في أكبر الفنادق ووصلت إلى الجامعات والمعاهد الكبرى في مختلف المناسبات وحصل التنافس بين فرق البيض وفرق الزنوج الذين كانوا دائماً الأفضل لكونهم منبع هذا الفن ومكمن ذكرياته وأصاليته، وهو تراث والتراث لا يقلد وحتى أن تم تقليده فلا يمكن الوصول فيه إلى الدرجة الإبداعية المطلوبة.

---

(53) الارتجال : هو التفكير والثناء في آن واحد .. أي الاستعداد الجيني للثناء واستقلوله بالشرح

في الفصل الثالث.

عام 1945 بدأ فن الجاز أسلوبا جديدا حيث اختلف رقص العازف أثناء عزفه، والجمهور كذلك، وتم تقديم موسيقى الجاز في سكون تام، وذلك لأن الاستعداد لدى الفرق كان يستحق هذا، وأصبحت فرق الجاز تقدم فنا يلزمه الإصغاء والهدوء، فن يخطب المشاعر ويرتفع إلى المستوى (السيمفوني) حيث أن جميع العازفين من خريجي المعاهد الموسيقية العليا، واقتصر الارتجال على ضيوف الشرف في الحفلات من رواد هذا الفن.

كما اختلفت الإيقاعات السريعة الساخنة، وتم وضع مؤلفات جديدة تميل إلى البطء في الإيقاع، والتعبير العاطفي في الحان ذات طابع غنائي مؤثر، وأطلقوا على هذا اللون الجديد اسم (الجاز الهادي).

وظهرت في هذه الفترة البوادر الأولى لتشكيل فرق (السيموجاز)، (وهي عبارة عن تكوين موسع لآلات الأوركسترا السيمفوني الكاملة مضافا إليها فرقة الجاز التقليدية).

وأول من قدم هذا اللون هو (جبل أيفانز) عام 1954 ثم (جنتر شولر) 1955 وتوالى وتكررت التشكيلات.

ولكن لم تنته فرق الجاز الأخرى التي كانت متمسكة بالإيقاع السريع والعزف الارتجال وكانت أكثر نجاحا لأن الجماهير أحببت هذا اللون.

وبذلك ظهر (الروك اندرول) في أوائل الستينيات وظهر به نجوم من البيض والزنوج مثل (الفيس بريسلر) وغيرهم.

ونادي الفنان الزنجي (سيسل تايلور) وهو عازف بيانو أول في فرق الجاز بالعودة إلى الأصول الأولى القديمة، وقال "أنا أحب أن أرى الناس من حولي يرقصون وأنا أعزف، هكذا هم أجدادي الأوائل في أفريقيا .. دمننا وحرارة بلادنا تحتم ذلك ...".

خلال فترة رحلة موسيقى الجاز وفي العشرينات من القرن الماضي تسربت موسيقى الجاز خارج أمريكا فامتزجت بموسيقى أمريكا اللاتينية والأرجنتين والمكسيك، وبالطبع تم إضافة إيقاعات من هذه الدول إليها وظهرت رقصات جديدة مثل التانجو والرومبا والسامبا والتشاتشا. وغيرها بالإضافة إلى آلات الإيقاع الشعبية في تلك البلدان مثل القرع. الشخشاش والخفارات .. وغيرها.

يبلغ عمر موسيقى الجاز الآن حوالي (القرن وربع القرن) لم تقطع خلالها عن التطور والتغيير، فما زالت تصل أحيانا إلى المستويات السيمفونية، وترد أحيانا أخرى إلى أصولها التقليدية القديمة التي بدأت منها.

واهم ما يلفت النظر في موسيقى الجاز أنها انتشرت في جميع أرجاء الأرض بسرعة البرق، ولعل ذلك أهم دلالتها الصادقة أنها فن إنساني وترث أصيل عبر عن شعب ثم يتعرض شعب في الأرض للفقير والعبودية والعنصرية مثله أبدا.

والموسيقى الأفريقية تعتمد على استعمال آلات القرع، والإيقاع المركب وهي تلك جذابة ومعبرة، فهي عكس الموسيقى الأوروبية التي تعتمد الآن على التوافق الموسيقي<sup>(54)</sup> ورغم ذلك لم تصل إلى جمالية الموسيقى الأفريقية بل وأن ما أضفى الجمال على الموسيقى الأوروبية هي الإيقاعات المركبة الأفريقية التي تتميز بها عن موسيقى العالم أجمع، فالإيقاعات الأفريقية رفيقة السهر والسمر والعمل للإنسان الأفريقي، بما فيها من آلات متنوعة موادها من الطبيعة كالخشخيش والطبول، وكافة الآلات الموسيقية المحلية الأخرى.

(54) التوافق الموسيقي هو علم لهارموني . التوزيع ..

والإنسان الأفريقي، هو إنسان الطبيعة إنسان الهواء الطلق، إنسان يحب أرضه فأحبته وأعطته التراث.

وهو إنسان الحركة، الإيقاع، والنغم، رقص خلاق، أغاني كلها عاطفة، عاطفة آخذة في الصعود مدعكة على قممات الوجه الأفريقي بمعاني الصنق والطهارة ذلك لأن الفن في أفريقيا مرتبط بالحياة الاجتماعية الواقعية إلى أبعد الحدود. ذلك لأنه كما سبق القول الفن هو الدافع القوي نحو العمل<sup>(55)</sup> والإنتاج، والتنافس للمزيد من بذل الجهد والعطاء.

وما يميز الفن الأفريقي عن بقية فنون العالم الآخر هو ارتباطه ببعضه ببعض فما من أغنية إلا وتصاحبها رقصة تعبيرية، وما من آلة موسيقية إلا ولها وظيفة مقصودة بعينها.

وهناك ميزة أخرى وهي أن العمل الفني هو عمل من صنع الجميع، ولأجل الجميع، وهذا لا يمنع من أن هناك عدد من المحترفين للفنون والآداب في أفريقيا<sup>(56)</sup> ولكن يبقى دائما للفن في أفريقيا وظيفة اجتماعية، وهو جماعي الإبداع، وملزم بقضايا الجماعة وأهمها (الحرية والإنتاج) ومهمة الفن في أفريقيا هي الحث علي المزيد من العطاء والإنتاج، ويظهر ذلك في كلمات الأغاني وحركات الأجساد، وفي روعة القصائد الشعرية، والآلات الموسيقية والإيقاعية، وفي الرقص الجماعي، وفي أساليب الرسم والنحت، فالفن يدخل في كل الموضوعات، والأنشطة العامة والخاصة، والفن الأفريقي يعتمد في تعبيراته علي الصورة والإيقاع، وبالتحليل المنطقي للفنون الأفريقية عن موسيقى وغناء وشعر وقصة ورسم

---

55 أساق في أفريقيا يمارس في الحقول والمصانع، وبشكل تلقائي لا يحتاج إلى استوديوهات أو مدن إعلامية وصحافة وشاهير.

56 ولكن مصدر الهام هؤلاء المحترفين هو ما يستلزم عن العامة من الناس من قول قديم.

ورقص ونحت وغيرها، نجدها كلها مسكونة بالإيقاع الحي المتحرك،  
النابض بالحياة، الذي يبت النشاط والحركة في الإنسان دائما<sup>(57)</sup>.  
والفن الأفريقي يلامس الفن الإسلامي بنزعة التجريد والإيجاز  
ويأخذ من الفن الإغريقي نزوعه نحو محاكاة نماذج الطبيعة بدقة،  
ولعل هذا هو السر في كون أفريقيا هي بك الأسرار والأفكار  
والإبداع والابتكار. (58)

وقد أثرت الموسيقى والإيقاعات الأفريقية في تطور الموسيقى  
في أوربا وأمريكا، فالأمريكية بما جلبه الأفارقة لها معهم من تراث  
والحن، وما تلقته الاهتمام بروحانيات الزنوج وموسيقاهم من الزنوج  
أنفسهم استطاعوا أن يسيطروا بطابعهم المعروف بالجاز أو الجازي  
(jazz) في العصر الحديث علي خريطة البرنامج العام في الإذاعات  
المسموعة والمرئية وفي المسارح ودور العرض، ووصل الأمر إلى  
تدخل الآلات المستخدمة في فرقة الجاز مع آلات الأوركسترا  
السيمفوني التقليدي<sup>(59)</sup>.

لأداء المؤلفات الأمريكية التي تظهر فيها العناصر اللحنية  
المستلهمة من موسيقى اليهود الحمر، ومن روحانيات وإيقاعات  
الأفارقة.

ولم يتم لآن إنصاف أفريقيا. بإثبات أن هذه الفنون الموسيقية،  
والآل التماثيل والأقنعة، هي أفريقية، وليست من إبداع الأوروبيين أو  
الأمريكيين الذين يدعون نسبة ذلك إليهم!!

---

(57) ولستك فكل الفرقات الأوروبية والأمريكية المشهورة في العالم اصلها أفريقي وتسميتها  
للأفريقية.

(58) ولستك اعلم الكثير من الباحثين الأوروبيين بدراسة الفنون الأفريقية، واستفادوا كثيرا في  
تطوير فنونهم الشعبية من خلالها!!

(59) ظهر لوت جديد في الموسيقى الأمريكية سموه (سيمفوجاز (Sympho Jazz)



الربابة العربية.. أوحى باختراع آلات الكمان.. والقيولا.. والتشيللو..  
والكنترباس.. وكذلك الأقواس





## مَهْيَدٌ

مما لا شك فيه أن العرب ، قد اخذوا الكثير من علوم الحضارات التي سبقتهم ، وهكذا شأن الحضارات جميعا ، فالبناء الحضاري يعتمد على تواصل الأجيال ، ولكن العرب لم يكتفوا بالأخذ فقط ، بل طُوروا ما تحصلوا عليه من معارف، حتى تكاملت وفافت أصلها، وتوصلوا إلى وضع المناهج العلمية وبها تجاوزوا عملية المحاكاة والنقل والتقليد، ووصلوا إلى مرحلة الابتكار والإبداع والتجديد .

وبخصائص التفكير العلمي سبق العرب عصرهم ، فكانوا الأفقر على الإبداع بين كل شعوب العالم، التي اتجهت إلى اخذ العلوم والآداب والفنون عن العرب، بعد أن كانت في ظلام دامس من الجهل والتخلف، وأوروبا هي أول القارات التي استيقظت من نومها على نور الفكر والعلم العربي فأخذت: فأوصلها إلى ما هي عليه اليوم من تقدم وازدهار .

والمؤسف له، أن التذكر لدور العرب في تقدم الحضارات العالمية لازال قائما، ونحن لا نلوم أوروبا بقدر ما نلوم أنفسنا، وذلك لأنني:

أ- مخطوطاتنا العربية في الآداب والفنون والثقافة والعلوم تركناها مخزنة في أدراج المكتبات في العواصم العربية والمكتبات والمتاحف الغربية، ولا يتاح للباحث العربي الاطلاع على هذه الكنوز إلا بجهد جليل، بل أنه بجهل حتى عناوينها ومواضيعها لعدم تداولها أو الإعلان عنها .

ب- لم تتخذ أية احتياطات للمحافظة على المخطوطات العربية، والتراث العربي والإسلامي عموماً، بل جعلناه عرضة للنهب والسرقة والحرق من خلال غارات المغول والأتراك والإنجليز والأمريكان، هؤلاء الغزاة الذين يتركون أن تخرب وتدمر هذا التراث هو تدمير للحضارة العربية والإسلامية، وتسهيلاً للغزو الثقافي والعولمة للسيطرة على عقول الأجيال اللاحقة.

ج- عدم الدفاع عن التراث العربي والإسلامي الذي تم نقله إلى أوروبا ، ولم يقولوا أنهم ترجموه عن الحضارة العربية بل نسبوه إلى أنفسهم وكأنه من ابتكارهم وإبداعهم، رغم مشاركة العرب في كل المنظمات العالمية التي تحمي الفكر وتضمن حقوق المؤلف.

د- عدم تشجيع الدراسات المقارنة بين الكتاب والمفكرين العرب المعاصرين فهي وسيلة إثبات بما في تراث العرب وأثره في الحضارة الغربية من جهة، ووسيلة توعية للجيل الحاضر الذي لا يصدق ما يسمعه من تفاخر بمجد الآباء والأجداد، بل يزداد انبهاراً بمدنية الغرب، لأنه بجهل من أين جاءت هذه المدنية ؟

فلقد كان للعرب السبق، بقرون عديدة، إلى الكشف عن خصائص التفكير العلمي، وهم الذين سلموه أو أوصلوه إلى أوروبا

وأمریکا، التي تنظر إلینا أجيالها الحالية علی أننا نعمل التخطف، بل أجيال العرب أنفسهم تصفنا بذلك!! وبكفي أن یقال عنا أننا العالم الثالث!! وهذا كله راجع إلى جهلهم بالحقیقة المدفونة فی أرفف مكتباتنا الرسمية العربية.

وفي مجال الموسيقى والغناء، نفخر بأننا أول من عرفها، ووضع لها القواعد والأصول والنظريات، أول من وضع الحروف الموسيقية (النوتة)، وأول من وضع التوزيع الموسیقی، توافق الأصوات - الهارموني - وأول من عرف الآلات الموسيقية وصنعها، وأول من وضع فن الزخرفة الموسيقية الغنائية. ونفاول كل ذلك فی المباحث التالية :

المبحث الأول : توافق الأصوات (الهارموني) .

المبحث الثاني : اقدم الآلات الموسيقية .

المبحث الثالث : فن الارتجال .

المبحث الرابع : إعادة البناء الخطاري .

[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)

# المبحث الأول

## توافق الأصوات

### الهارموني

موسيقانا الشرقية، هي أغنى موسيقات العالم، لأنها تحتوي على مئات الأنغام - المقامات - وتركيب كل منها يختلف عن الآخر، وذلك بفضل  $\frac{1}{4}$  (ربع التون) أو المسافة الصوتية - التي يراها اليوم بعض العرب المستعربون بأنها تمثل تخلف الموسيقى العربية والشرقية عموماً - مع أن موسيقانا تتأثر بربع المسافة هذه عن الموسيقى الغربية.

والموسيقى الغربية لا يوجد فيها إلا نغمتان فقط هما: الماجور والمينور، وهاتان النغمتان موجودتان في الموسيقى العربية (الماجور وهو العجم - المينور وهو النهاوند) <sup>(60)</sup> وتتفرد الموسيقى الغربية "بالحارموني" وهي بدونها لا تساري شيئاً. وتتفرد موسيقانا العربية بسحر الحانها، وجمال تعبيرها، وإقتراب أنغامها من النفس البشرية، وهذا كله ناتج عن أساليب تراكيبها، وكثرة أصوات سلمها الموسيقي، وتعدد مقاماتها، وروعة وكثرة إيقاعاتها وتنوعها، أما الموسيقى الغربية فإذا ما ألغينا عن ألحانها "الحارموني" فسجدتها موسيقى ضعيفة مهلهلة خالية من أي إبداع. فهي فقيرة، ولا وجود لها إلا "بالحارموني" *Harmoni*.

(60) الماجور: معناها النغمة البليغة وسلمها يسمى لكبير.

المينور: معناها النغمة القاهرة وسلمها يسمى لخير.

### ولتعريف الهارموني نقول:

الهارموني هو " علم الأصطحاب" اصطحاب الأصوات  
والتحليلها، أو هو علم الانسجام الصوتي، أي أن أكثر من صوت  
تؤدي في آن واحد ، مع ضرورة أن يكون بينهما توافق<sup>(61)</sup>.  
" ويدلنا تاريخ الموسيقى أنه قد سبق فن الهارموني فناً يقال له  
"كونتريبوان Contrepoint" وكان هو الأساس لفن الهارموني  
والتكونتريبوان عبارة عن فن يؤلفون بموجبه موسيقاهم في جملة  
صفوف لحنية تنشأ في وقت واحد من فرفة كبيرة، وكل صف له  
لحن خاص ومنشدين يختصون بإنشاده، بشرط أن تكون الأصوات  
التي ترافق بعضها في الصفوف منسجمة ومتألقة، وتتكون من صفين  
على الأقل ، ولا تزيد عن ثمانية<sup>(62)</sup>.

### أصل الهارموني:

يقول العالم الموسيقي المعروف ( برونوان بريفوست )  
Prudeant Privoste " إن اليونان القدماء أخذوا السلم الطبيعي  
(الماجور) عن موسيقى الشرق، وهذا السلم لم يكتشفه الأوروبيون  
كما زعم (زارابلو) الذي نسبته لنفسه تزويراً، بل مصدره الشرق".  
والمعروف تاريخياً أن العالم العربي الفارابي هو الذي وضع  
النسب الرياضية لسلم الماجور<sup>(63)</sup>، ومن الفارابي عرف العرب  
سلمهم الموسيقي بأبعاده الرياضية.

(61) وهذا التوافق يكون:

تماماً: وهو الذي يحدث بين المسافات الثلاثة والخامسة والرابعة.

جزئياً: وهو الذي يحدث بين المسافات الثلاثة والسادسة.

(62) سلم الحلو ، تاريخ الموسيقى الشرقية، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، 1974، ص 162.

(63) الفارابي مولود سنة 873م. (وزارابلو) الإيطالي مولود عام 1517م 1511.

" وأعترف الإيطالي جوزيف زارلينو G.Zarlino في آخر أيامه بأفضلية ما وضعه العرب من الدواوين والسلام قبله بما يقرب من أربعمائة سنة " (64).

يقول العالم أوجين بوريل Euq,Borrel :  
" إن الموسيقى العربية ظلت عدة أجيال كالخميرة التي ساعدت على النمو والنضوج".

وقال المستشرق هنري فارمر H.Farmer :  
" إن الموسيقى العربية هي من أصل سامي أثرت تأثيراً كبيراً في الموسيقى اليونانية، إن لم نقل أنها كانت ركنها الأساسي".

يقول الفارابي فيما أثبتته في علم الاصطحاب " الهارموني " :  
" ونعني بعلم الاصطحاب، إشتراك شخصين --أي صوتين-- أو أكثر تنقر في آن واحد، وإشتراك الأصوات المتألقة بحسب وصولها إلى الأذن، وإتفاق الاصطحاب والمؤلفة متوقف على نسبة الأصوات بين بعضها...".

وبعد الفارابي يأتي عالم شرقي عربي آخر هو صفى الدين عبد المؤمن البغدادي، وبعد الفارابي بمائتي سنة ويقول :

" ... إن بعض الأبعاد الصوتية تتفق مع بعضها عندما تضرب الواحدة تلو الأخرى، وهي لا تتفق إذا ضربت في آن واحد " (65).

وهذا القول يعني أن الهارموني أوجده العرب منذ القدم، وأن الغرب قد أخذه عن موسيقانا ومفكرينا.

وقد أعترف بهذا علماء الغرب ومنهم:

---

(64) سليم الحلو - تاريخ الموسيقى العربية، مرجع سابق، ص 236.

(65) ضربت: أي عزفت.

لاند، يوريل، فارمر، هيجو، زيامان، باري... الخ.

يقول (باري) في كتابه فن الموسيقى:

"إن نظرية صفى الدين عبد المؤمن البغدادي (في تقسيمه للديوان العربي) بأنها أفضل نظرية وأكمل سلم موسيقى في تقسيمه...".

ويقول (زيامان) في كتابه تاريخ الموسيقى:

"... إن سلم صفى الدين أعطى اتفاقاً أبقى وأصقى مما يستطبعه سلم الأفرج -- المعدل - المأخوذ أصلاً عن السلم العربي...".

ويقول العلامة: هلمبولتس<sup>(66)</sup>، في كتابه "تأثير الأنغام"

"إن نظرية هؤلاء التنظيميين العرب لها قيمة عظيمة وفائدة عسيمة في تاريخ تقدم الموسيقى...".

ونرى كيف كان للعلماء العرب فضل السبق في ابتكار علم الهارموني الذي هو كل الموسيقى الغربية، وذلك منذ القرون الوسطى.

فهل يكفي هذا للمستعربين من الفنانين العرب الذين يلهثون وراء التقليد للموسيقى الأوروبية، والذين يعتبرون أن "الهارموني" تقدم مع تركيب للموسيقى العربية الغنية بمئات المقامات والتميزة في موسيقات العالم أجمع بالربع تون، وهذه المقامات وتراكيبها وأنغامها لا تحتاج كثيراً إلا في ما ندر لتوزيع الهارموني.

---

(66) هلمبولتس: أعظم خبير في العالم في كل ما يخص السمع والصوت والترانزات ويحضر

النسب والمعلوم لرياضية الخاصة بالقانون.



" إن أكثر تواريخ الموسيقى لا تتكلم عن الموسيقى العربية أو لا تذكر عنها سوى القليل، وذلك عادة ساروا عليها في الجامعات حيث يعطون الاهتمام لدروس اليونانية واللاتينية، وللآداب الأوروبية، أما فيما يتعلق بالآداب العربية فأمر خارج عن البرنامج " البرنامج ولا يُعتنى به ... (67).

وعلى كل ما تقدم " يكون واجباً على كليات الفنون ومعاهد الموسيقى والفنون جميعاً أن تنصّر مناهجها ويكون من أهم مراجعها المجموعة الهائلة والقيمة من المخطوطات العربية في الفنون ومنها:

أولاً: مؤلفات الكندي الموسيقية (68):

- أ- الرسالة الكبرى في التأليف والموسيقى.
- ب- الرسالة في ترتيب النغم.
- ج- رسالة الإيقاع.
- د- المدخل إلى صناعة الموسيقى.
- هـ- خير صناعة التأليف.
- و- رسالة صناعة الشعر.
- ز- الإخبار عن صناعة الموسيقى.

ومن مؤلفاته:

رسالة في خير تأليف الألقان ... وهي محفوظة بدار الكتب العامة ببرلين - ألمانيا - تحت رقم 5503، وهي تعتبر من أقدم المصنفات العربية في الموسيقى.

(67) العلامة الموسيقي، أوجين بوريل ، الموسيقى العربية في القرن التاسع عشر ، مجلة للمعرض موزيكال، باريس - فرنسا، عدد 30 إبريل 1939م.

- والأستاذ أوجين هو رئيس جمعية الموزيكولوجية الفرنسية.

(68) كما ورد في فهرس لأن التذم.

كما توجد مخطوطتان آخرتان للكندي بدار الكتب العامة ببرلين تحت رقم 5530 و 5531<sup>(69)</sup>. أكد وجودها فارمر، والدكتور محمود الحفني في كتاب (تراثنا الموسيقي).

#### ثانياً: مؤلفات الفارابي:

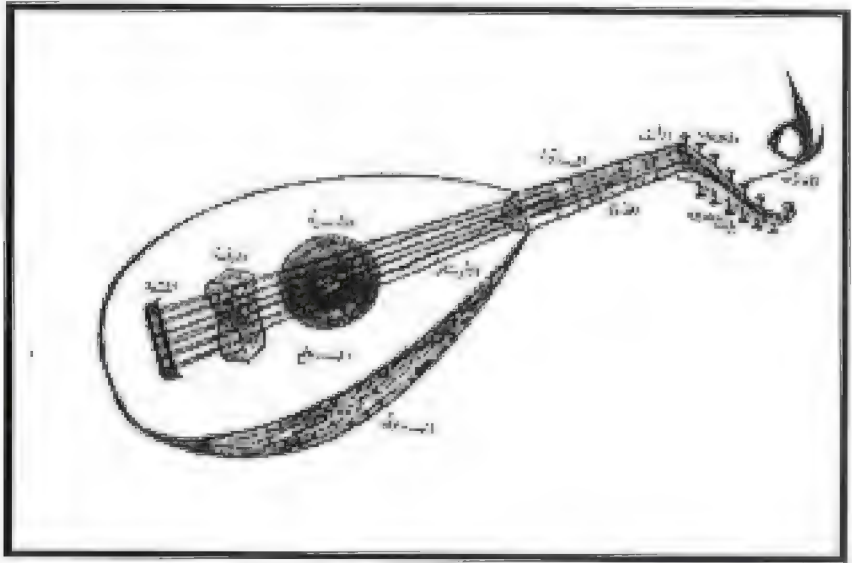
- أ- كتاب الموسيقى الكبير.
  - ب- كلام في الموسيقى.
  - ج- إحصاء الإيقاع.
  - د- إحصاء العلوم: عرض فيه أيضاً للموسيقى وقد ترجم إلى اللاتينية.
- علماء بأن كتاب الموسيقى الكبير، كتاب قيم يحوي كل أسرار صناعة الفنون ووظائفه الاجتماعية<sup>(70)</sup>.

#### ثالثاً: مؤلفات المستشرق هنري فارمر:

- أ- مصادر الموسيقى العربية.
  - ب- حقائق تاريخية عن تأثير الموسيقى العربية . (المنشور في لندن عام 1930م).
- إلى جانب ما كتبه الأصفهاني (كتاب الأغاني) وصفي الدين عبد المؤمن البغدادي، وأخوان الصفا، ويونس الكاتب وابن سناء.
- فهذه الكفوز الثقافية لا بد أن يلهم بها جيل الفنانين وعامة الناس، وحتى يعلموا أن السبق والابتكار والتجديد والأصالة والإبداع في العالم - هو عربي.

(69) Farmer- A. History of Arabian Music the 13th Century, P.128 and 246.

(70) وللأسف لا توجد نسخة من هذا المخطوط في الأقطار العربية فالنسخ الأربعة موجودة الآن في: أستانبول / مدريد / ميلانو / لندن.



آلة العود، أشهر الآلات الموسيقية في العالم

abuseem ابو عاصم  
[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)

## المبحث الثاني

### أقدم الآلات الموسيقية

من أهم المكتشفات الأثرية (القيثارة السومرية) التي تعتبر من أهم آثار تاريخ الموسيقى على الإطلاق، وقد عثر على هذه الآلة عالم الآثار البريطاني (وولي Woolli) عام 1927م في مدينة أور السومرية في جنوب العراق واتضح أنها صنعت منذ 4500 أربعة آلاف وخمسمائة سنة مضت<sup>(71)</sup>.

وهذه القيثارة مصنوعة في شكل جسم حيوان (ثور)، ومضخمة بصفائح من الفضة الرفيعة، الذي أعطاها مع مرور الزمن اللون الرصاصي الهادئ.

وفي المتحف البريطاني بلندن، أعيد بناء القيثارة التي كانت أوتارها قد نأكلت، وتم تركيب الأوتار من جديد والبالغ عددها (11) أحد عشر وترًا، التي عرفت عددها وأماكنها من خلال الأوتار والخطوط على الغشاء الفضي للآلة.

ووعادت القيثارة كما كانت قبل أكثر من خمسة آلاف سنة وكانت القيثارة أن تنطق بالحن الرافدين<sup>(72)</sup>، الأرض التي كلما قامت فيها حضارة جاء من يدمرها ويخربها (من هولاكو إلى بوش)، وفي متحف اللوفر بباريس الكثير من الآلات الموسيقية القديمة

71 أور .. مدينة الكلدانيين القدماء في جنوب العراق.

72 مجلة هنر لندن، عدد 6، كانون الأول 1969م.

الشرقية ذات الزخارف الجميلة المنقطة والتي تعبر عن حضارات الشرق الخالدة.

وفي أفريقيا أيضا توجد مثل هذه الآلات، وذكرنا فيما سبق القيثارة الأفريقية.

وعند قدماء المصريين كانت توجد آلة موسيقية ذات جفاجف، وتوجد نماذج من هذه الآلة وغيرها في دار الآثار في برلين - ألمانيا -.

واقدم آلة هندية تم العثور عليها آلة تشبه آلة الربابة العربية، ذات وترين من أمعاء الغزال، وتاريخها يرجع إلى (500) خمسمائة عام قبل الميلاد، وهي مستعملة في الموسيقى الشعبية الهندية الآن.

أما الحضارة المصرية فإنها من أقدم الحضارات في العالم (حوالي ثمانية آلاف سنة ق.م)، ولقد عثر المؤرخون على صور لآلات موسيقية كثيرة مثل الناي الطويل المتعدد الثقوب، وصورة أخرى لآلة الجناك (الهارب)<sup>(73)</sup>، ومنها نوع عددها 22 وترًا، وهي مصنوعة من العاج والأبنوس<sup>(74)</sup>.

وهناك آلة الأرغول أو الارغن التي لازالت مستعملة في مصر الآن. وكذلك آلة الزمارة المزبوجة وتُصنع من الخشب وآلة النفير (البوق) وهي آلة تستخدم للأغراض العسكرية والإشارات الحربية. إلى جانب الآلات الإيقاعية:

الأجراس - الجالجل - الطبول - وهي كثيرة الاستعمال في مناسبات الحصاد وتحضير المشروعات.

---

73 تم العثور على آلة الهارب بالأهرامات، مقبرة رقم 90، وكانت تؤنزلها من فوق العمل وحدها خمسة نواز.

74 وهذه الآلة موجودة الآن في متحف اللوفر بباريس في فرنسا.

وهناك الصاجات النحاسية، والكاسات والمقارح الصنجية، والطبول والدفوف وطبلة الباز.

في عام 1972 ف، تم العثور في مصر على اكتشاف أثري جديد بالتلال الأثرية بصحراء البحيرة، عبارة عن صورة لقنان يوناني قديم وهو (ديمترتيس) وهو يعزف بعض الألحان المصرية كما ظهر في النقش على الحجر الكبير الجيري، وكشفت النقوش المدونة عن أسماء المقطوعات الموسيقية المصرية التي يرددنها الموسيقار اليوناني.

وجاء في صحيفة الأخبار:

أنه بهذا الاكتشاف الجديد تتأكد لأول مرة حقيقة أن اليونانيين تأثروا بالموسيقى المصرية القديمة عندما كانوا في مصر عام 332 ق.م. (75).

وقد عثرت على هذا الاكتشاف بعثة من خبراء الآثار المصرية بعد بحث طويل في تلك المنطقة.

وصرح خبراء الآثار أن هذا الاكتشاف له دلالة في التاريخ الثقافي والفني والموسيقي، في الحضارتين الهلينية والفرعونية، وأنه يفتح ميدانا جديدا لعطاء الحضارة المصرية القديمة (76).

---

75 صحيفة الأخبار عدد 27 أبريل 1972 ف.

76 صحيفة الأخبار عدد 27 أبريل 1972 ف.



قيثارة سمير



## المبحث الثالث

### فن الارتجال

من جماليات الموسيقى العربية والأفريقية، فن الارتجال، أي اتخاذ الشكل البدائي في الأداء الموسيقي دون إعداد أو تفكير في شكل خاص، ولذلك يمكن تعريف الارتجال بأنه (التفكير والأداء في آن واحد)، نقول: ارتجل فلان كلمة في الحفل، أي أنها غير مكتوبة أو مشروطة في شكل خاص بل تلقائية تعتمد على التفكير والإلقاء في ذات الوقت.

وقد يكون الارتجال في الموسيقى، في لحن موضوع ومعروف، وهنا تتميز الموسيقى العربية والأفريقية بفتح المجال للإضافة عن العازف والمؤدي أي أن التعبير الموسيقي الموضوع ليس نهائياً، بل أنه يترك المجال لأي إضافة تلقائية مبتكرة من طرف العازف أو المطرب طالما أنها تضفي جمالا إلى اللحن الأصلي، بل أن هذه الإضافة تعتبر دليلا على قدرة العازف أو المؤدى.

فالمبتكر (الملحن) والمؤدي (العازف أو المطرب) لا صراع بينهما في الموسيقى العربية والأفريقية بل اتحدا مكملا لبعضهما، فالملحن يخلق الإطار العام ويؤدى عملية إضافة التفاصيل أو إعطاء العمل الفني روحه الفنية المطلوبة التي تطرب وتريح وتفيد المتلقي.

وتوارث الأجيال هذا الأسلوب في أداء فن الارتجال، ولعل هذا هو سر بقاء الألحان العربية خالدة، تتجدد روحها وروعيتها مع كل جيل، وكأنها قد وضعت في زمانه، ومن ثم أصبح إلى جانب المبتكر

وقد كتبنا من القدم ابن سينا، تحت عنوان (فن الزواجر)<sup>(78)</sup> أي الزخارف والتخليلات التي تضفي على الأداء في كل مرة روحاً متجددة حية.

وحيث أن هذا الأمر (وهو الارتجال) لا يرتبط بالقدره لدى العازف أو المؤدى على قراءة النوتة الموسيقية، بل أن يستخدم علمه الموسيقي النظري مع خياله وحضوره ساعة الأداء، وهذا هو ما يجعل التجدد في الأداء فلا يمكن أن نسمع إلى عمل واحد مرتين بنفس الإحساس أو الطريقة إذا ما أدائها نفس الفنان، بل نجد اختلافاً وإضافات جميلة مكررة، تدل على الخبرة والزرخرة الفنية.

وتمثل هذه الزخارف المرتجلة، من عازف مفرد أو مجموعة عازفين ومطرب أو مجموعة منشدين، تمثل مصدراً من مصادر المتعة الفنية للمستمع الذواق الذي يطرب هذا الإبداع وهذه الإضافات والزخارف الرائعة.

ومن أبرز ما يحب المستمع العربي والشرقي عموماً من فن الارتجال التقاسيم بفرعها:

التقاسيم الحرة، والتقاسيم المقيدة بإيقاع.

والعازف المرنجل أو المؤدى المرنجل، هو كمن يواجه امتحاناً صعباً لعرض معارفه الفنية، فهو مطالب بأن يبتكر بعفوية، جملاً لحنية مقنعة، وأن يصرّف فيها بالنحول من مقام إلى آخر بشكل أنيق وشيق ورشيق.

---

78 ابن سينا، تلك الحدا، الفصل الخاص بالموسيقى (وهو النجس لما ورد في كتاب الشفاء).

وهو من مخطوطة مكتبة الأزهر، القاهرة، ص 248-256.

وهو مطالب بعد رحلته بين المقامات الموسيقية بالآلة أو بالصوت الغنائي، بأن يعود إلى المقام الأصلي الذي بدأ منه، وذلك بشكل مريح ومحبوك وهو ما يسمى (القفلة).

ولذلك تعتبر هذه التقاسيم أو الأداء الغنائي بمثابة بحث مجرد في آفاق الجمال الموسيقي يستلهم فيه الفنان نفس الروح التي تلهم الفنون التشكيلية الإسلامية في تقسيم كل فراغ، كما في جدران المساجد الداخلية، والأبواب أو أغلفة الكتب والمجلدات، وذلك بتقسيم كل فراغ إلى رسوم هندسية مجردة ومتداخلة.

وهكذا يتحول من الزخرفة إلى جزء لا يتجزأ من صميم تكوين هذا التقسيم للفراغ في الفنون التشكيلية الإسلامية، وهو نفس التقسيم للزمن في الفنون السمعية الموسيقية والغنائية.

ونستطيع أن نخلص من الارتجال الموسيقي في أنه: الاندماج التام بين الحرية الفردية والعرف الموسيقي (لأن العرف السائد والتقاليد الفنية المتوارثة هي التي تحدد إلى حد كبير أفضل انفعالات الموسيقى الغنائية) وبين الابتكار التقالي والارتباط بالتقاليد، وهي في ذات الوقت تعتبر إضافة ذاتية، تدل على القدرة والخبرة والموهبة المتميزة.

وقد أخذت الموسيقى الغربية من الارتجال الموسيقي عن الموسيقى العربية، فقد كانت له أهمية خاصة في العصور الوسطى بل أن من الارتجال هو الذي أوحى بظهور فن (البوليفونية)<sup>(79)</sup> الذي أصبح فيما بعد مميزا للموسيقى الأوروبية.

---

79 بوليفونية: هي فن تكليف الشجع الموسيقي بإضافة مجموعة الحان تتنوع باللمح الأصلي.

وكذلك موسيقى الآلات جاءت عن طريق فن الارتجال مثل  
البريلود (المقدمة) والفانتازيا والتوكاته Toccata<sup>(80)</sup> وكذلك كان  
للارتجال أثرا في ظهور (الصوناتا) Sonata بالآلات الوترية إذ  
كانت أحيانها لا تكتب كاملة بل الهيكل ويكون على العازف ابتكار  
الإضافات من عنده كل مرة، وكذلك كان ارتجال الزخرفة والتحليات  
أمرا مشروعاً، بل مطلوباً من العازف.

وكان على معنى الأوبرا أن يرتجل فقرات غنائية زخرفية  
طويلة في أعاني الأوبرا الاتفرادية وهو تقليد لازال قائماً لحد الآن  
في الموسيقى الأوروبية.

واستمر الارتجال في الموسيقى الأوروبية حتى القرن السابع  
عشر (موسيقى عصر الباروك) وحتى أوائل القرن الثامن عشر،  
وظل عازفو آلة البيانو يمارسون الارتجال بطلاقة حتى عصر  
بتهوفن (في أوائل القرن التاسع عشر)، كما كان العازفون المهرة  
يرتجلون (الكاونسات)<sup>(81)</sup> في الكونشرتو.

وأجمل ما يمكن أن نسمعه اليوم من تراث للموسيقى الغربية،  
كان يعتمد على فن الارتجال المأخوذ عن موسيقانا العربية والشرقية.

80 التوكاته: تقسيم الآلات، واسمها مستمد من مصدر ألماني (توكاتري).

81 الكاونسات: فقرات التقسيم الارتجالية الحرة.

abuaseem ابو عاصم  
[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)



الهارب.. أقدم آلة عرفتھا الحضارة المصرية القديمة..

## المبحث الرابع

### إعادة البناء الحضاري

في هذا العصر، الذي نستطيع أن نقول عنه عصر تقدم الإنسانية إلى الخلف فبالرغم من الدخول بقرن الحادي والعشرين، إلا أننا نرى العالم يعيش في ديمagogية العصور الوسطى، الحروب والدمار، وانتشار الأمراض والتعصب الديني والتفرقة العنصرية وغيرها من مخلفات العصور السابقة تعود إلى العالم من جديد.

في هذا الوقت كيف يكون لنا أن نعين بناء الإنسان العربي والإفريقي بناءاً حضارياً جديداً؟

لا شك أن ذلك يتطلب صراعاً فكرياً وبالصراع نتحدد الموقف ويتحرك التاريخ، الذي لا يوقف مسيرته شيء.

وسجالتنا في هذا الصراع هو الفن والأدب والثقافة، فيجب أن نكون لدينا معايير، تحكم بها على المجال في الفن وعن التذوق في الفن والأدب والثقافة، فطالما أن الأدب والفن هدفهما الاجتماعي واحد وهو أنهما تعبير عن الفكر والأحاسيس والتوجدان ويعبران عن التجربة البشرية بالكلمة والنغمة والإيقاع، وكل منهما مادته التي يستخدمها، فالأدب مادته اللغة، والموسيقى مادتها الصوت والزمن، والنحت مادته الكتلة، وهكذا.

بل أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الفنون والآداب فالشعر والموسيقى والعرفص والتماثيل فنون متشابهة، والتماثيل تستعين بالموسيقى، والفنون التشكيلية تستعين المسرح والبرنامج المرئي، والخيالة تندمج

ففيها الفنون جميعاً، هذا مع وجود ذاتية متميزة لكل فرع من فروع هذه الفنون.

ورغم تطور كل فرع من هذه الفروع إلا أنهما يلتقيان في النهاية دائماً:

- فقد نشأ الشعر والرقص والموسيقى في وقت واحد، ثم تطورت الموسيقى عنهما، وبعد ذلك تطور الرقص حتى وصل إلى فن جديد هو فن الباليه فالتقيا في الموسيقى المصاحبة لهذا اللون من الفن.

- وتطورت الموسيقى أيضاً عن الشعر، ثم تطور الشعر أيضاً والتقيا في فن جديد آخر هو فن الأوبرا والملحمة والأوبريت والقصيدة الغنائية بالفصحى.

- والعلاقة واضحة بين الأدب والفنون التشكيلية، وتوضح لنا من خلال رسومات مقامات الحريري، ورسومات كتاب الحيوان - للجاحظ- ورسم كتاب الأغاني، وكتاب كتيبة ودمنة- لأبن المقفع- ولا زالت العلاقة مستمرة في الرسوم المتحركة، وفي الإعلانات، وفي أغلفة الإصدارات الأدبية،

- فالعلاقة دائمة ولن تنقطع بل تتطور مع كل تطور اجتماعي. ورغم ما في بلادنا - الجماهيرية العظمى - مثلاً من أدباء وشعراء وكتاب، فإننا لا نجد منهم من يشارك أو يتنى هذه العلاقة بين الأدب والفن، بما فيه صالح المجتمع.

فما زال أدباؤنا ينظرون إلى الإذاعة المسموعة والمرئية الخيالة، نظرة تجاهل وغطرسة، فهم لا يكتبون للإذاعتين البرامج والتعليقات، ومنهم من يستهزئ حتى بالأدب الشعبي (تراث الشعب) الأصالة، فيصف الشعر الشعبي بأنه "طاولة كسرة" وينطاول



الفيلسوف بوصفه بأنه (كلام فارغ)!! والحقيقة أن من جهل شيئاً عاداه، وهناك من البشر من هم في مرتبة الذين يحملون أسفارا. !!!  
إن أغلب أقطارنا العربية والأفريقية، بها عدد ماهول من الأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون ولهذا فالبرنامج الإذاعي والتصليية والمسرحية والأغنية الاجتماعية والوطنية والدينية والقومية والعاطفية كل هذه وسائل لنشر الثقافة والتوعية الاجتماعية.

إلى جانب أن الفنانون والأدباء من أهم وسائل رفع مستوى الوعي والتذوق والإبداع، وغرس القيم والمثل في نفوس أبناء الأمة، وترسيخ الولاء للوطن وتقديس الحرية والعدالة الاجتماعية.

فإقامة المهرجانات الفنية للفنون الموسيقية والشعبية هو فخر للدولة والمجتمع، وهو دلالة على الارتباط بالتراث والأصالة، وهو كفاح ضد الغزو الثقافي والعولمة، وهو عملية ري لجذور الأمة وحضارتها لتبقى راسخة على مدى الدهر في أرضية نفوس الأجيال الناحقة التي ورثت هذا التراث الخالد عن الأجداد الذين تركوا لنا كنوزاً من التراث الأدبي والفني والثقافي، وعندما وصلت هذه الكنوز إلى الأوروبيين والأمريكان وعرفوا قيمتها وقدرها حق قدرها وصلوا إلى القمر والسيطرة على العالم.!!

ومن يقول بعدم جدوى هذه المهرجانات أو يتعالى على حضورها لأنه يحمل ورقة مكتوب عليها حرف (دال) قبل اسمه، فإنه وللأسف يستحق أن يوضع أمام اسمه الحرف (السادس) من الحروف الهجائية ولكن التذوق والفهم لا يقاس بالمؤهلات العلمية، ومن مصائبنا أن هناك من فصلتهم المؤهلات العلمية عن أصلاتهم وروح مجتمعاتهم وعاداتهم وتقاليدهم فأصبحت الشهادة العلمية العالية بالنسبة لهم كشهادة (الوفاة) " بالنسبة لنا.

فالإنسان الذي يستحق أن يوصف بالأديب أو الفنان أو المخطط في المجالس المخصصة لتنمية الإبداع والثقافة، هو الذي يشارك بمؤلفاته وكتاباته وموسيقاه وشعره في خدمة مجتمعه، وهو الذي يؤمن بأن الفن والأدب رسالة اجتماعية وطنية مقدسة، وهو الذي تزداد معرفته كل يوم بحرفية الفنون والآداب حتى يزداد كفاءة وعطاءاً، وهو الذي له القدرة على دمج الفنون المحلية بخبرات فنون الأقطار الأخرى بما لا يلمس الأصالة ولكنه يخلق الترابط والمودة بين الشعوب، وهو الذي له القدرة في الحديث عن الفن والأدب في الندوات والمحاضرات، فهذا دليل على التكامل واليقظة بالنفس.

أما الذي يرى في الفنون عيباً بمرسه، ولا يناسب مستواه الثقافي، فهذا ناقص " وإذا كنت مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنني كامل".

ونستعجب كيف يكون هؤلاء أفراداً في المجتمع وينكرون تراثه وأصاليته، هذا المجتمع الذي صرف عليهم آلاف الدورات حتى أعطاهم حرف (الدال).

فهل يريدون الانتفاع والاستمتاع بخبرات المجتمع دون بذل أي جهد من أجله.

وأخيراً أقول لهم أن الأدب والفن والثقافة، وعي علمي، ومسؤولية اجتماعية، والنزاهة، وعمل ومشاركة اجتماعية، وحكمة وأخلاق ونصائح، وأن مكونات الأدب والفن والثقافة أولاً وأخيراً ما هي إلا تراث، والتكسر لهذا التراث أو الاستهزاء به، قسمة الثقافة!! والخروج من دائرة الأرض والوطن...!! وأود أن ألقت النظر إلى أن الفن علم، والعلم والفن يتمتعان بنفس الأهمية في حياة الإنسان.

• فالعلم يغير العالم من أجل أن يغير الإنسان ويرفع من مستواه الفكري والثقافي والمعيشي.

• " والفن يغير وجدان الإنسان ليتمكن من تغيير العالم" (82).

وأن الذي ينظم المشاعر والعواطف والانفعالات هو الفن وهو هنا بالضبط كالعلم الذي يهدف إلى الوحدة بين القوانين والظواهر عن طريق الموسيقى حقق الكثير من عباقرة الموسيقى الوحدة بين المشاعر وأستمع إلى " أخي جاور الظالمون المدى " أو أنشودة " الله أكبر فوق كيد المعتدي " وغيرها الكثير ... وهكذا في الشعر لهذه الأعمال وغيرها، فالفن والعلم ليسا أسلوبين مختلفين للوصول إلى هدف خدمة المجتمع - إنما هما أسلوبان متكامل بهما المعرفة والتقدم.

- وما فلتة، عن دعاة الفكر والأدب في بلادنا ما هو إلا مثال عن الآلاف من المستغربين الذين كانوا سبياً في اندثار فنوننا وتراثنا وأدبنا، بهذا فنحن في حاجة إلى إعادة صياغة للإنسان في أقطارنا العربية والأفريقية، وهذا يتطلب تغيير ثقافي جذري، وصناعة ثقافة، فهي صناعة الصناعات. بل التي تصنع من يصنع الصناعة، وهو الإنسان، وهذا أهم من الصناعة،

إننا في حاجة إلى القيام بعملية مسح وإعادة بناء ، من أجل اقتلاع المعوقات لحركة التقدم الفني والثقافي، وخلق جو صحي صالح لنمو القيم الأصيلة، التي نؤمن بأن العرب هم أصل وأساس الحضارات الفنية والأدبية وأن الأفارقة هم أساس الثقافة الاجتماعية الفنية العالمية المتميزة، وأن العرب والأفارقة قد ظلوا عبر التاريخ

---

(82) من أقوال كورويل، الكاتب الفرنسي الشهير.

من العالم الغربي وأن خبراتهم وعقولهم وفنونهم وتراثهم هي أساس ما نلهم به أوروبا وأمريكا من تقدم ورخاء...

فنحن لا نتكلم عن الآداب والفن فقط، بل العلم أيضاً، وكافة معالم الحياة الأخلاقية، والتشريعية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية... الخ.

وهذا دليل على أن الفنون - وهذه حقيقة - كانت وراء كل حضارة، بل هما أساس الحضارات، لأنها دليل على التاريخ، وعلى الاستقرار، وعلى التقدم... فما قالوا عن العصر العباسي العصر الذهبي إلا لأن الفنون كانت مزدهرة ومتقدمة وكذلك الآداب، وما قالوا عن عصر النهضة في أوروبا في القرن التاسع عشر ذلك إلا لازدهار الفنون والآداب، وشيوع نور الثقافة الذي يبدد ليل الجهالة والتخلف.

وما أعنيه هنا ليست الثقافة البشرية، التي نعتبر عن جوهر الإنسان، ككائن يعمل ويفكر ويحلم ويكره ويحب فحسب، بل ما أعنيه هو الثقافة القومية الخاصة بكل قطر، والتي تميزه عن غيره، والتي تشكل أصالته وأسانيه في ممارسة الحياة.

ولا شك أن هذه الثقافة القومية هي نتاج التلاحم بين الثقافات العربية والأفريقية، بالتبادل عبر التاريخ.

فأقطارنا العربية والأفريقية، لها تاريخ واحد مشترك برغم الحدود التي وضعها الاستعمار لتسهيل عليه السيادة.

فالاستعمار لم يمنحنا فقط ثلاثية (الفقر والجهل والمرض) ولم يكتف بموت الملايين من أجدادنا جوعاً وقهرًا، بل منحنا صفات أهمها:

الاغتراب عن الذات، وانقسام الشخصية، وردم منابع الفكر، وقتل روح الإبداع والابتكار، ونشر الرذيلة، وتدمير المكتبات،

وحرق آثارنا ومأثوراتنا ومقتنياتنا، وطمس معالم حضارتنا وقروير تاريخنا، ونكران فضل العرب والأفارقة على أوروبا وأمريكا بما هي عليه اليوم من تقدم يرجع في أصوله ومصادره ومراجعته إلى الفكر العربي والأفريقي في الفنون والآداب والعلوم.

ورأينا في الفصول الثلاثة لهذا المطبوع بالإثبات والأدلة التاريخية، وشهادات المستشرقين، والباحثين من الغرب مدى استفادة الغرب في العلوم الموسيقية النظرية والعملية وصناعة الآلات الموسيقية وكتاب النوتة ونظريات التوزيع الهارموني والإيقاعات وأساليب الغناء وكتابة الشعر، وموسيقى الجاز...

فهل لنا أن نعيد الثقة في أجيال أقطارنا العربية والأفريقية، بأن نوضح لهم بالبحوث والمطبوعات والمناهج الدراسية، والبرامج الإذاعية المسموعة والمرئية "بمختلف اللغات" أنهم أحفاد أولئك العباقرة الذين وضعوا أسس وأصول وقواعد هذه الفنون.

إن ذلك سيكون بحق مساهمة فعالة في إعادة بناء الإنسان العربي والأفريقي بناءاً حضارياً جديداً.

فهل نستطيع أن نحقق هذا؟

لنبداً الصراع الفكري من أجله.



الزكرة عربية أفريقية.. أخذتها أوروبا وأمريكا وأنشأت بها فرق الغرب  
الموسيقية المعروفة.  
أوحى للأوروبيين بابتكار آلة الأكورديون من حيث حفظ الهواء

**[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)**

# الخاتمة

عندما عارض الأوروبيون الرأي القائل بأن للعرب تأثير واضح، بل هم الأصل في الأدب الغنائي الأوروبي، قام المستشرق (أ.ر. نيكل NYKL) بنشر ديوان (ابن قزمان) كاملاً بالحروف اللاتينية، فاثبت لهم بذلك أن شعراء (التروبادور)<sup>(83)</sup> الفرنسيين، وهم أول من استخدم الشعر الغنائي في أوروبا، لم يفعلوا أكثر من أنهم قلّدوا ما كتبه شعراء الموشحات والزجل في الأندلس، وذلك منذ أكثر من مائتي سنة مضت.

والمعروف أن الشعر العربي، هو عربي خالص، ولم يأت نتيجة تراجم أو غيرها كالعلوم الأخرى، فهو لم يتأثر بأدب حضارات سابقة فهو فن العرب الأصيل.

وفي 26 يناير 1919 أعلن المستشرق الإسباني (اسين بلامبوس) في خطاب استقباله في الأكاديمية الملكية الإسبانية أن (دافني)<sup>(84)</sup> قد تأثر في الكوميديا الإلهية بمصادر إسلامية، وما تصويده للجنة والفنار، وأهم مصادره معراج النبي محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة الغفران للمعري.

وبذلك يكون أكبر شعراء إيطاليا، والشاعر الأوروبي الأول كما يسمونه، قد أخذ مصادر أروع ما كتب من العرب والمسلمين.

---

83 التروبادور: مصدر عربي وهو مركب من كلمتي (تور-طرب) ويتقيد الصفة على العوضوف فهي الترجمة الطب للفن والصح (طرب-تور) Troubadour، وهذا ما اتفق المستشرقين فحين بحثوا في أصل لفظة الأوروبي.

84 كان دافني يقول أن قصص الإيطالي قد ولد في جزيرة صقلية التي يسمونها العرب.



وكانت فكرة الحب النبيل قد تناولها (ابن حزم) في طوق الحمامة قبل أن يتناولها الأوروبيون بمئات السنين، واعترفوا بذلك. والقصص الشرقية ومنها: كليله ودمنة، وقصة السندباد، وكتب المواعظ والأمثال، فهي التي أثرت في الآداب الأوروبية، وفي مقدمة القصص الفلسفية قصة (حي بن يقضان) لابن طفيل (1085) والتي تهدف إلى التوفيق بين الفلسفة والدين، وتم ترجمتها إلى الإنجليزية عام 1671م.

ومن الأدلة الدامغة أنه (ليس بين أدبائهم نابغ واحد قد خلا شعره أو نثره من بطل إسلامي، أو خادعة إسلامية) من شكسبير وديسون وبيرون وكولبريدج وشيلي من أدباء الإنجليز، وجيتي وهردر ولسنغ وغيرهم من أدباء الألمان، وفولتير وفوتسيكو وهيجو ولافونتين من أدباء الفرنسيين<sup>(85)</sup>.

وتأثرهم واضح بالقصص الشرقية المعروف (ألف ليلة وليلة) فما رحلات (جلفر) أو (جلفر) ورحلات روبنسون كروزو إلا امتداد ونائر بالقصص العربي في العصور الوسطى.

وما مفكري الأنثلس اللامعين في القرن الثاني عشر مثل ابن باجه الذي مات مسموما عام 1139م، وابن رشد المتوفى عام 1198م، الشارح الأعظم لكتب أرسطو والذين ترجمت كتبهما إلى العبرية واللاتينية، فهما من العرب ولهما الفضل في التأثير في (البيير الكبير) (وثنوما الاكوينى) الذين وفقا بين فكر أرسطو والعقيدة المسيحية بعد

85 نقول هذا الموضوع كل من:

- أ. عباس العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية.
- د. عبد الرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، بيروت 1965م.
- د. سمير القلماوي: أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية.

قراءتهما لما كتبه ابن رشد عن التوفيق بين فلسفة أرسطو وعقيدة الإسلام.

لما في مجال الموسيقى والغناء، فصاعد الموسيقى التي انتشاها العرب في الأندلس والبعثات الطلالية التي درست في هذه المعاهد خير شاهد على أن ظلام أوروبا لم تنره إلا العقول العربية.

وما أثبتته مجموعة من المفكرين والباحثين الغربيين الذين قارنوا بين امثلة من الشعر الفرنسي (الغنائي) والشعر الألماني<sup>(86)</sup> والإنجليزي والإيطالي والبرتغالي والإسباني، مع ما استحدث في الأندلس من نظام أشعار الموشحات والأزجال، مبرهنين بهذه الأمثلة ومستشعدين بها علما أن ما استجد في أوروبا من أوزان الشعر الغنائي إنما كان انعكاسا لما احتوته الأندلس من هذه الألوان المبتكرة، وقد أثبت هؤلاء المستشرقون بعض قوالب القصائد المسماة (بالاد) La Ballade والأغاني العاطفية (كرنويس) La Chanson Courtoise ، وقصائد وأغاني التروبادور Troubadour.

ويطلق في أوروبا لأن لفظ أرابيسك Arabesque على نوع من المعزوفات الموسيقية التي تعتمد على الزخارف والتحليلات الموسيقية العربية، والزخارف والتحليلات لا يتميز بها في العالم إلا الشرق وذلك في فنون الموسيقى والنسيج وفن الرسم والفنون التشكيلية عموما.

---

86) من هؤلاء المستشرقون: غوسيه، بولز، كوين، برفسالي، ريدوا، وغيرهم... ووردت الإشارة إليهم في المراجعين السابقين:

- د. سيجريد هونكة: شمس الله على المغرب فضل المغرب على أوروبا.

- د. محمود الخطي: زوايا موسيقار الأندلس، ص 161.

وكاد أن ينعقد الرأي عند جمهور المستشرقين في القرن التاسع عشر، على الاستخفاف بدور العرب في بناء الحضارات الإنسانية، وأن العرب لم يخلقوا للتفكير الأصيل وللخلق والابتكار والإبداع. ولكنهم أخيراً وجدوا منهم من يسه هذه الآراء ويثبت الحقيقة، وهو الباحث المستشرق (جورج سارنون)<sup>(87)</sup> الذي نبه إلى أن الحضارات العربية والإسلامية والمعجزة العربية في عصر الإسلام الذهبي هي التي طورت العالم، وقال:

”ما حققه العرب في المجال العلمي والثقافي يكاد يتجاوز حد التصديق“.

والآن أصبح ذلك واضحاً، ويتأييد من كل المنظمات الدولية ومن هيئة اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة) التي أقامت مؤتمراً ألقى فيه الأستاذ (كويلر يونج) (Cuyler Young) بحثاً عن (أثر الثقافة الإسلامية في الغرب المسيحي) (الفنون والعلم وفلسفة الحياة). وأخيراً ...

فقد رأينا كيف استفادت أوروبا من محافظة العرب على تراث كل الحضارات القديمة وما أنتجته الحضارة العربية الإسلامية، ذلك لأنهم أرادوا أن يضيئوا لبل جهالتهم.

---

87 جورج سارنون George Sarton The History Of Science And The New Humanism, 1956 P. 73-75-87.

88 هو رئيس قسم اللغات الشرقية وأدائها - جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية - ويبحث:

The cultural contribution of islam to Christendom ونشرت في كتاب بالعربية (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، محمد خلف الله أحمد، القاهرة، 1955 ف).

فحين استرد النورمانديون صقلية، واسترد ملوك أسبانيا بلادهم،  
ابقوا على الحضارة العربية في بلادهم، ولم يفعلوا ما فعله المغول  
حين غزو بغداد عام 1258 ف، والقوا بالمخطوطات العربية في نهر  
دجلة، الذي سموت مياهه من أحبارها، وهو ما تفعله أمريكا  
وبريطانيا الآن من حرق وتدمير للمكتبات والمتاحف والتراث  
والمآثورات في القرن الحادي والعشرين (2003ف)!!

وسبق أن فعلت تركيا أيضا هذا حين غزت القاهرة وخربوا  
مكتبة العزيز بها عام 1068ف واحرقوا مائتي ألف مجلد (200,000  
مجلد) استخدمها الضباط وقودا لمنازلهم، واستعملوا أغلفة  
المخطوطات الثمينة المصنوعة من الجلد لإصلاح أحذية جنودهم  
وعبيدهم!!!

فمتى تستفيق الجهات الرسمية في الأقطار العربية والأفريقية  
وتقيم المراكز المتخصصة للبحوث والدراسات في الفنون والآداب  
والثقافة والعلوم، لتعرف الأجيال العربية والأفريقية اللاحقة مدى  
تأثير حضارة العرب والحضارات الأفريقية في عالم الغرب، وأن  
أصل الفنون الأوروبية عربي وأن اللجاز أفريقي وأن الأقنعة  
الأفريقية أفريقية المنشأ وأن العرب والأفارقة هم أساس الحضارات،  
وما أوصلهم إلى الفضاء إلا العلماء العرب وبحوثهم، فهل من أمل!!  
في مجمع الموسيقى العربية، بجامعة الدول العربية، ووزارات  
الثقافة، ومراكز دراسات وأبحاث الموسيقى.

.... لننتظر!!

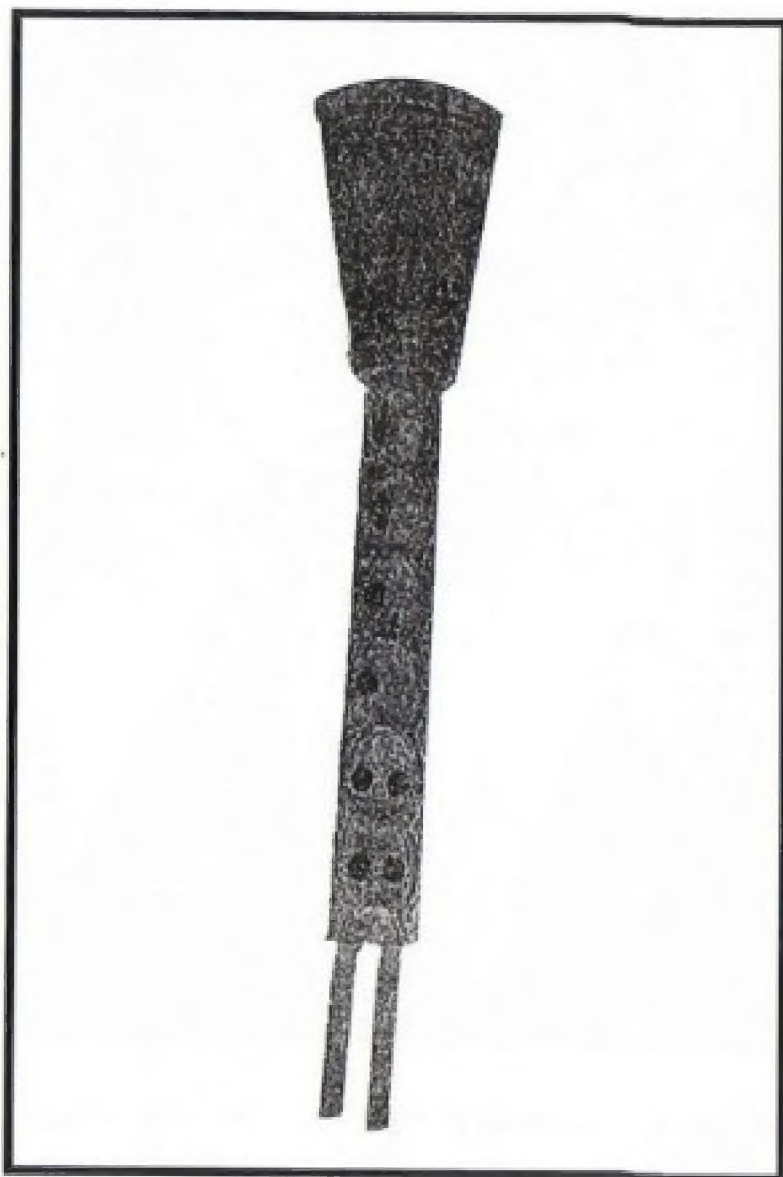
abuaceem ابو عاصم  
[www.sama3y.net](http://www.sama3y.net)

# فهرس

5	الإهداء
7	كلمة الناشر
11	المقدمة
15	الفصل الأول: أثر الموسيقى العربية على موسيقى العالم
19	المبحث الأول: الموسيقى العربية قبل الإسلام
27	المبحث الثاني: الموسيقى العربية بعد ظهور الإسلام
51	المبحث الثالث: الموسيقى الأفريقية في الأندلس
57	الفصل الثاني: أثر الموسيقى الأفريقية على موسيقى العالم
61	المبحث الأول: البداية الموسيقية
71	المبحث الثاني: الوظائف الاجتماعية للموسيقى الأفريقية
75	المبحث الثالث: الشكل والمعنى في الموسيقى الأفريقية
83	المبحث الرابع: الموسيقى الأفريقية إبداع اجتماعي مشترك
87	المبحث الخامس: الموسيقى الأفريقية وتمييع الثقافات
95	المبحث السادس: الرق .. وطبول تام تام
107	الفصل الثالث: فضل العرب والأفارقة على العالم
113	المبحث الأول: توافق الأصوات (الهارموني)

121	المبحث الثاني: أقدم الآلات الموسيقية
127	المبحث الثالث: فن الارتجال
135	المبحث الرابع: إعادة البناء الحضاري
145	الخاتمة

**www.sama3y.net**



آلة زمارة، وصلت من بلاد العرب إلى بوغسلافيا، وتستخدم هناك أيضاً  
في الأفراح وأوقات فراغ الرعاة





## مجلس تنمية المبادرات الثقافية

المقر الرئيسي / بنغازي هاتف: 061-9082002-9082003

بريد مصور: 061-9082004 ص. ب 9351

بريد الكتروني: loc@mail.lbtat.net